التربية الإسلامية وأثرها في درء الإلحاد

إعداد

د/سماح صلاح الدين شلبي

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

جامعة عين شمس - مصر

samah.shalaby@outlook.com

إصدار ابريل لسنة ٢٠٢٢م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

لم يترك الله عز وجل الإنسان هملا، فأرسل الرسل بالرسالات تترا، ليعلموا ويوضحوا ويحذروا، وهذا من عظيم نعمه وفضله، قال تعالى: {قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَٰتِنَآ أُولَـٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} البقرة: ٣٨-٣٩

وكشف لنا كل من يريد الميل بنا عن هذا الطريق من شياطين الإنس والجن قال تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنسَانُ ضَعِيفاً} النساء: ٢٦-٢٨

لقد أطلت علينا في الآونة الأخيرة تلك الجائحة العقدية التي يطلق عليها الإلحاد، -إنه ذلك التشكيك المقيت في كل ما هو ثابت ومقدس، حيث لا قداسة لشيء ولا مهابة من أحد، ولا يقين للبديهيات، ولا تصديق لفطرة، ولا معنى للوجود. إنه التيه والخواء الداخلي لمعتنقه وسيطرة الشهوات، وانفلات الغرائز واختلال المجتمع وفشو الآفات، حتى باتت ظاهرة للعيان، فلا يكاد يوجد بيت إلا ويعاني أحد أفراده بشكل ما، أو بنسبة معينة من تلك الجائحة فنجد ميلا -بسيطا كان أم معقدا-عن صحيح، أو تجاوزا عن ثوابت حتى يصل الأمر -لا قدر الله -إلى ذروته من إنكار الدين والإله.

ووجد المثبطون والمرجفون والمشككون من غير المسلمين ومن المتأسلمين ضالتهم فأخذوا بالتشكيك والزعزعة في كل ما هو ثابت ومعلوم من الدين، مستهدفين فئة الأطفال والشباب، مستغلين فراغهم وجهلهم بأمور الدين وانشغال الآباء؛ ليوجهوا الجهود نحو الجدال ويمعنوا في إرساء حالة الخواء والضياع الفكري، وهشاشة الروح، والغيبوبة الحضارية، وهم بذلك يرومون إحكام الجهل والتخلف والفرقة والانغماس في الشهوات بين أبناء الدين الإسلامي فلا تقوم لهم قائمة.

فاستخرت الكريم وعقدت العزم على كتابة هذا البحث، راجية منه عز وجل التوفيق والإعانة عسى أن يسترشد به أحدهم أو أن يكون إضافة لمشروع إغاثي فكري.

فإن وفقت فمن الكريم وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان.

وعلى الله قصد السبيل.

أهمية الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تفعيل الوعي بأهمية التربية الإسلامية وأثرها البالغ في درء خطر الإلحاد، فتلك التربية تعمل على محاور التحصين والمراقبة والإصلاح، كذلك إبراز أهمية العمل على الإغاثة الفكرية لأولادنا وشبابنا، وكيف أن هذا الغوث الفكري هو تحقيق لأهداف الشريعة.

إشكالية الدراسة

ركزت في هذا البحث على الإجابة على سؤال هل تستطيع التربية السوية بمختلف أسسها التصدي لخطر الإلحاد، ودرئه تحصينا، ومراقبة، وإصلاحا؟

وهل نستطيع تبني مشروع إغاثة فكرية يعمل على التصدي وعدم الانجراف ومعالجة الآثار لتلك الجائحة؟

الدراسات السابقة

وجدت دراسات كثيرة حول الإلحاد ومفهومه وتاريخه وأسبابه والسمات النفسية للملحد .....، الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الالحاد، منهج التربية الإسلامية في مواجهة الإلحاد الجديد رسالة دكتوراة - لجيانا محمد على مخاترة-إشراف د/عدنان خطاطبة -جامعة اليرموك بالأردن -لم أطلع عليها-موجودة صفحة البيانات على موقع المنظومة، أيضا لهما وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها، تحدثا عن التدابير الوقائية لمواجهة الإلحاد في التربية الإسلامية عبر إعداد الشخصية المتوازنة وإبراز هويتها وتأطير المنظومة الفكرية والسلوكية للفرد والمجتمع، وتعرضت للعلاج عبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل على حل المشكلات الاجتماعية وتقديم البديل الإسلامي ،منشور بمجلة الجامعة على الإنترنت.

دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، رسالة ماجيستير لصلاح حامد الحارثي -جامعة أم القرى-مكة المكرمة منشورة على شبكة الإنترنت تناول فيها مفهوم العولمة وتحدياتها في المجال الثقافي، ودور التربية في تحديات العولمة الثقافية.

لكن -على حد اطلاعي- لم أجد دراسة تناولت الموضوع قيد الدراسة بنفس المعالجة

منهج الدراسة

اتبعت المنهج التحليلي، الوصفي، الاستقرائي، الاستنباطي.

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة اشتملت على تمهيد، أهمية الدراسة، إشكالية الدراسة، منهج الدراسة، والخطة واشتملت على تمهيد فيه تحديد معنى العنوان ومصطلحاته (الإلحاد-التربية الإسلامية) وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نظرة عامة على مشكلة الإلحاد وتطورها وطرق الوقاية

المبحث الثاني: درء خطر الإلحاد بالتربية الإسلامية ومسؤولية الفرد والجماعة

المبحث الثالث: المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد، والرد على شبهات الملحد (الإغاثة الفكرية)

ثم خاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات

وثبت للمراجع.

والله أسأل التوفيق والعون والسداد.

تمهيد: في معنى العنوان ومصطلحاته

الإلحاد:

في اللغة:" اللحد: حفرة مائلة، ولحد الميت: دفنه، وإلى فلان: مال، وألحدت: ماريت، ولحدت: جرت وملت، ولاحد فلان فلانا ملاحدة: اعوج كل منهما على صاحبه، واللحد عن دين الله: مال وحاد وعدل وطعن فيه، والملتحد: الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه" ١
وقال ابن منظور: الملحد هو: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، والجمع ملاحدة ولحد في الدين يلحد وألحد: أي حاد ومال عنه، وقيل مال وجار، وذكر أنه هناك قراءتين في قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل١٠٣، قراءة بفتح الياء والحاء: لسان الذين يَلحَدون، وهي بمعنى يميلون إليه، وقراءة بضم الياء وكسر الحاء: والمراد بها يعترضون. ٢
قال ابن فارس: " اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة"٣

"وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم ولذلك قيل للحد القبر لحد لأنه في ناحية منه وليس وسطه" ٤

ويدور المعنى اللغوي حول الميل أو الانحراف واستخدمت أولا في الأمور المادية المحسوسة، "ثم استعير لكل إمالة عن استقامة"٥

"وبالتالي فقد اتسع استخدام كلمة إلحاد في اللغة العربية فيما يتعلق بالجوانب المعنوية للدلالة على انحرافات فكرية وسلوكية مرفوضة"٦

في الاصطلاح :

قال صاحب الكشاف: "ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين" وعليه فالملحد ليس له دين٧

قال الراغب الأصفهاني: " والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول يُنافي الإيمان ويبطله، والثاني: يُوهن عُراه ولا يبطله، ومن هذا النحو قوله: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} الحج ٢٥، وقوله: {وَلِلَّهِ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيۤ أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} الأعراف ١٨٠، والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به، والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به".٨

وقيل "هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً "٩

وورد تعريف الإلحاد في الموسوعة الميسرة أنه" مذهب فلسفي، يقوم على فكرة عدمية، أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت"١٠

وقيل: "يقصد به الطعن في الدين أو الخروج عنه.... وأن يشكك فيه، أو التأول في ضرورات الدين، كأن يقول الصلاة ليست واجبة، أو الحجاب ليس فريضة....."١١

وعرف أيضا على أنه" أزلية المادة أو وجود الكون بلا خالق"١٢

وقيل "هو إنكار مصداقية النصوص الدينية"١٣

وأيضا" الاحتجاج على غياب الألوهية وعدم تمكين الإنسان"١٤

وعلى هذا فكل السياقات تدور حول إنكار وجود الله أو بعض صفاته وانكار الدين والمعلوم منه بالضرورة، أو التشكيك في ذلك أو عدم الاهتمام بذلك والطعن في النصوص.

التربية :

في اللغة: يقال:" ربا المال يربو: زاد ونما، وربا في حجره رَبْوا ورُبُوا: نشأ، ورباه تربية: جعله يربو وغذاه وهذبه، والتربية: التهذيب".١٥

ويُقال: "رَبَّه يُربِّه: أي كان له رَبّاً. وفيه (ألك نعمةٌ تُربيها) أي: تحفظها، وتُراعيها وتُربيِّها كما يُربي الرجل ولده. يُقال: رَبَّ فُلان ولده يَرُبُّه رَبّاً ورَبَّبَه ورَبَّاه كله بمعنى واحد... وقيل للعلماء: ربانيون؛ لأنهم يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها."١٦ ويثروا نفوسهم ويهذبوها.

قال الأصفهاني في كتابه المفردات: " الرب في الأصل: التربية وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام. يقال: رَبّهُ ورَبّاه ورَبّبَه، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات"١٧

وكلها تدور حول الزيادة والنمو والحفظ والرعاية والتغذية والتهذيب والصبر على ذلك حتى يكتمل.

في الاصطلاح: تباينت التعريفات تبعا لاختلاف المنظور والمعتقد والأدوات والجماعات التي تقوم بتلك العملية.

عرفها جون ديوي أحد علماء التربية الأمريكان قائلا: "وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة -مطلق عقيدة- التي يؤمن بها شعب أو بلد وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز وتسليمها بالدلائل العلمية إذا احتيج لها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة....وهي السعي الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون على إنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة"١٨

ويقصد بها أيضا "كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في قوى الطفل وتكوينه بالزيادة، أو النقص، أو الترقية، أو الانحطاط سواء أكان مصدر هذه العملية الطفل نفسه أو البيئة الطبيعية أم الاجتماعية بمعناها العام أو معناها الضيق المحدد فالطفل خاضع باستمرار لعمليات تغيير في تكوينه الجسمي والعقلي والخلقي وهذه العمليات هي التربية"١٩

والتربية الإسلامية: تلك المنظومة الربانية المتوازنة المتكاملة التي بينها القرآن الكريم وطبقتها السنة المطهرة، التي تعنى بكافة جوانب الإنسان، ولا تغلب جانبا على آخر، التي تعد الإنسان لدنياه ودينه معا وتوازن بينهم.٢٠

المبحث الأول: نظرة عامة على مشكلة الإلحاد وتطورها وطرق الوقاية

أضحى الحديث عن الإلحاد واضحا ومتصدرا في ظل ظروف تضافرت لتضعف الأمة، وتمحو هويتها، وتسلب مكتسباتها ولا تتيح للأمة مجرد التفكير في محاولة إعادة ترتيب ما تم العبث به وبعثرته.

وهناك من يتعامل مع الإلحاد كونه مشكلة فكرية، حيث الاضطراب في إعمال العقل مما يؤدي به إلى الجنوح عن الحق أو إدراك الحقيقة. وآخرون يعتبرونه ظاهرة فكرية فلسفية آخذة في الاتساع نتيجة تراجع وضعف دور رجال الدين والدعاة.

والمشكلة عموما تصبح ظاهرة إذا: "تكررت حدوثا، واتسعت رقعة، وتنوّعت شرائحَ، وتقاربت زمنا، وتفاقمت حجما، واستعصت على الحلول النمطية، وانطلقت من فكر يغذيها لا من ردود أفعال"٢١

وإذا ابتغينا الدقة في الحديث حول كون الإلحاد مشكلة أم ظاهرة، لابد لنا من بيانات رصدية دقيقة تتحدث بشفافية واضحة حول الأعداد الحقيقية، حتى نتمكن من وضع تصور شامل، ولعل سمت المجتمع الشرقي المحافظ ساهم في عدم الإفصاح عن ذلك فالكثير يفضل السكوت وعدم فتح الأبواب وغض الطرف عن مثل هكذا موضوعات.

لكن هناك بعض الإحصائيات التي وجدت على شبكة المعلومات حول هذا الموضوع منها:

تلك الدراسة التي أجرتها مؤسسة «وين جالوب» -استطلاعا للرأي -عام ٢٠١٢م بعنوان مؤشر عام حول الدين والإلحاد في٥٧ دولة شمل آراء ٥٠ألف شخص وإجمالا يعتقد ٥٩ %من المستجوبين عبر العالم أنهم دينيون مقابل ٢٣ % يرون أنفسهم غير دينيين و١٣%يؤكدون أنهم ملحدون. وتختلف النسب العامة من بلد لآخر.

وقد بلغت نسبة الإلحاد في المملكة العربية السعودية ٥ %-أي أكثر من مليون شخص وقتها بحسب تعدادهم-لتكون بذلك أول بلد في العالم الإسلامي يتجاوز فيها الإلحاد حاجز الخمسة في المئة مقابل ٧٥ %من المتدينين و١٩ %من السعوديين يرون أنفسهم غير متدينين.٢٢

وفي يناير ٢٠١٤ اصدرت دار الإفتاء المصرية تقريرا حول أعداد الملحدين في الوطن العربي حيث قال: "إن عددهم في مصر٨٦٦ملحدا، وفي المغرب ٣٢٥، وفي تونس ٣٢٠، وفي العراق ٢٤٢ وفي السعودية ١٧٨، وفي الأردن ١٧٠، والسودان ٧٠، وفي سوريا٥٦، وليبيا ٣٤، وفي اليمن٣٢...وهو ما يساوي ٢٢٩٣ملحدا بين سكان الوطن العربي البالغ تعدادهم آنذاك٤٠٠ مليون نسمة"٢٣

"فإن هذه الأعداد لا يمكن اعتبارها ظاهرة، إنما هي فقط مؤشر على وجود حالة من الخلل العقدي لدى قطاعات من الشباب، نتيجة لأخطاء بعض الخطابات الدينية-على حسب تعبيره-إن على مستوى سطحيتها أو على مستوى تشددها" ٢٤

نعم الأخطاء السطحية والمتشددة موجودة بالفعل لكنها في تلك الخطابات الدعوية وليس الخطاب الديني.

وهناك مئات الصفحات على الفيس بوك وتويتر واليوتيوب والمدونات التابعة لملحدين من العالم العربي ولها متابعيها وبأعداد كبيرة، والتي يدخلها الآلاف يوميا "لم يعد بالإمكان إنكار شيوع ظاهرة الإلحاد في المجتمع العربي المسلم فمنتدى اللا دينين العرب يضم ٧٠٠٠ عضوا وعدد زوراه يتجاوز ٤٠٠٠ زائر في اليوم وعلى اليوتيوب قنوات تجاوز عدد المشاهدات المليون" ٢٥

وما بين عامي ٢٠١١-٢٠١٣ أجرت جامعة ويسترن ميتشجان استطلاعا حول أعداد الملحدين في مصر حيث بلغت النسبة ٣%. ٢٦

وهنا يبرز سؤال هل نستطيع التعويل على إحصائيات أجنبية للاستدلال بها على تحول الإلحاد إلى ظاهرة في مجتمعنا العربي؟ وهل نستطيع التحقق من هوية الشخصيات التي تقف وراء المدونات والصفحات؟

ونظرا لفرط حساسية الحديث في التصريح بالإلحاد في المجتمعات العربية والإسلامية المحافظة، فلا نستطيع رد هذه الإحصائيات ولا حتى التعويل عليها "بسبب تعقيدات الحالة المحلية وتعقيدات الحالة الإلحادية، وبسبب ضعف الجهود الإحصائية في المجتمعات الإسلامية، أضف لها أن الملاحدة في العالم الإسلامي يتوارون تحت سقف التقية "٢٧

لكن لا ننكر أننا أمام انديا هائل من الخلل الفكري والعقدي والتشكيك والتشويش الممنهج، يرى جليا في وسائل الإعلام، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، وفي بعض المؤلفات مستهدفين به عالمنا العربي والإسلامي عامة والشباب خاصة.

بواعث الإلحاد

كانت الكنيسة المسيحية في أوروبا هي المسيطرة على كافة الأمور والمتحكمة فيها لفترة طويلة، هي صاحبة السلطات المطلقة التي لا تناقش ولا ترد، وما لبثت إلا أن طالها الانحطاط والانحراف ، وطال الجشع و الانحطاط والفساد الديني والمالي والأخلاقي رجال الدين، وبات الدين ونصوصه وطقوسه -الذي يستقى من هؤلاء الرجال بالنسبة للشعب- عبارة عن طلاسم وخرافات وأعمال جوفاء، لا يستسيغها أحد ولا يقبلها عقل ولا منطق، وأنهك

الشعب ماديا، أضف إلى ذلك تدهور الوضع الاجتماعي والسياسي فكان هذا الوضع المزرى للدين وغيره شرارة البدء أمام ما سمي بالإلحاد.

وبدأ الدين يتلاشى، وينفصل عن كافة مجالات الحياة العلمية، والفلسفية، والسياسية، والاجتماعية، والأدبية، والفنية، وشرع المفكرون والعلماء الأوروبيون في وضع نظرياتهم البديلة فكان دارون ونظريته النشوء والارتقاء الطبيعي، وأنه لا حاجة إلى افتراض وجود تدخل إلهي مباشر -على حد زعمه- وفرويد وتحليلاته النفسية والذي قال بغلبة العقل على الدين، وديكارت في الفلسفة ونظرية الشك، ونيتشه صاحب مقولة مات الإله، والفكر الشيوعي الذي يستبعد الله من الفلسفة ومن الحياة، وكلها فلسفات ونظريات تقاطعت مع ما كان سائدا ، وأبرزت صورة مغايرة للعقائد الدينية، وأفكارا جديدة، وتفسيرات مختلفة لم تؤلف أو تسمع من قبل على معايير وضعية.

واتخذت الكنيسة موقفا معاديا للعلم، فالدين والعلم طرفي نقيض لا يلتقيان، ووجد الناس ضالتهم المنشودة في العلم، حيث الإجابات المقنعة وما يوافق عقولهم، وكفروا بدين الكنيسة الذي يصادم العقل، وتناقضاته الفجة، والعقائد المنحرفة التي تتنافر مع المنطق السليم.

وبعد أن تكونت تدريجيا ملامح هذا الإنكار لوجود الله إبان عصر النهضة في أوروبا ،بدأ هذا الضيف الثقيل في التسلل إلى بلادنا العربية والإسلامية ،فقد راود حلم النهضة العرب وبدأوا يتطلعون لما عليه أوروبا من تقدم وتحضر، وما آل إليه حال العرب والاستعمار الذي أنشب أظفاره في أراضيهم، والذي نهب الثروات وقسم الأرض أغرق البلاد في صراع بين أفراده ،وزال الاحتلال بعد مدة ،لكنه خلف وراءه الاحتلال الفكري الذي تبناه البعض وبدأت العلمانية ،والبعد عن كل ماله صلة بالدين كما فعل أتاتورك مثلا، وبدأت البعثات للخارج وفي نهايات القرن التاسع عشر تم فصل التعليم الديني والتعليم العام بعد أن كانت تدرس مجتمعة أضف الانقسامات الدينية بين المسلمين والتي تم استغلالها استغلالا جيدا لتمييع الدين وافراغه من محتواه .

قس على ذلك في كل مجالات الحياة السياسية، الدينية والفكرية.....

"حتى سجلت أول حالة إنكار صريح لوجود الله في عالمنا العربي ١٩٣٧ لصاحبها إسماعيل أدهم"٢٨

هكذا تسلل إلينا، ووجد من يقتات عليهم ولم نشعر به إلا وقد أصبح فتيا .٢٩

ومن المفيد معرفة الدوافع والبواعث -الخارجية والداخلية -التي تدفع شخصا ما لينزلق في براثن الإلحاد، فالتشخيص السليم أول خطوات العلاج ومن ثم الشفاء فلا يبسط ذلك الخلل – الإلحاد- نفوذه إلا بخلل يسبقه يمهد له الطريق.

الدوافع والبواعث الخارجية

ويقصد بها المحركات والمؤثرات الخارجية التي من شأنها الدفع نحو فعل أو اعتقاد شيء معين.

المستشرقون

لا يخفى على فطن الدور الذي لعبه الاستشراق والمستشرقون في البلاد العربية خاصة بعد ظهور الإسلام. ولم يترك هؤلاء مجالا من مجالات الحياة - في البلاد التي حطوا رحالهم بها -إلا وأمعنوا في دراستها والإحاطة بكل تفاصيلها، واختصوا الدين بفائق عناية، ولكل مأربه في ذلك فالأكثرية تعمل على التشكيك، والقدح، والتشويه للإسلام ،وكان للمستشرقين الرهبان والقساوسة هدف الانتصار للمسيحية، وتزييف الحقائق، وتأكيد فكرة همجية الإسلام لتقليص الإسلام ومنعه من الانتشار، وهدم الأخلاق وبث الشكوك ، ووجدوا شريحة انبهرت بهم وسمعت منهم تلك الشريحة التي اختيرت لإرسالها للخارج بحجة التعليم والحصول على شهادات من الجامعات الغربية، ثم عادت لتكمل ما بدأه عرابوهم، فأتعس خلق الله في الذل أمة لها من بين أبنائها لأعدائها جند. ساعين بذلك لنشر الإلحاد، والفكر المادي الذي يمهد بدوره إلى إقامة الحياة المادية التي تنكر وجود الله.٣٠

الفكر الغربي المادي

ذلك الفكر التجريبي في العلوم والذي ظهر مع بدايات عصر النهضة، الذي يخضع كل شيء للحس والتجربة، والذي كان له الأثر في النهضة والتطور الذي شهدته أوروبا، وتعدى هذا المنهج إلى ما وراء الطبيعة.

ولما جاء الاستعمار للبلاد العربية وغزت تلك -الحضارة- بلاد الإسلام دخلت تلك الأفكار ولاقت من يستحسنها ويطبقها -كما هي على كافة الأصعدة دون مراعاة الهوية المختلفة والطبيعة المغايرة وخصوصية كل أمة-واعتبرت مثالا يحتذي للحاق بركب الحضارة والنهضة.

كالفكر الشيوعي الماركسي وهو عبارة عن فلسفة مادية حثث استكفاء المادة بنفسها وكما يقولون إن الشعوب في حالة الضعف اخترعت الآلهة، وفي لحظات القوة حطمتها.٣١

والوجودية الملحدة التي تعد من أخطر الدعوات الهدامة والإباحية بزعامة سارتر القائل بحرية الإنسان الذي يخلق ماهيته!، وعدم وجود إله٣٢

"ما أدى إلى اهتزاز اليقين عند البعض واعتبروا الغيب أوهاما يجب التخلص منها وتحت ضغوط التشكيك والإنكار والتهكم بالإيمان والمؤمنين نشأت أجيال لا تعرف إلا التشكيك"٣٣

الدوافع والبواعث الداخلية

ويقصد بها الدوافع المحركات والمؤثرات الداخلية التي من شأنها الدفع نحو فعل أو اعتقاد شيء معين.

الجور السياسي

ويقصد به تصرف الحاكم كيف يشاء دون حسيب ولا رقيب ولا خشية عقاب في شؤون الرعية، ومن هنا كان الاستبداد والطغيان والظلم السياسي أصل الأدواء، وبيت العلل، فيكمم الأفواه إذا طالبت بأي حق.٣٤

ويكون المصاب جللا إذا انضم الاستبداد الاقتصادي والديني للاستبداد السياسي فيثور الشعب لا محالة، ويعلنوا كامل تمردهم حتى على الدين وشيوخ السلطان الذين يتبنون خطابا مسكنا للشعوب وعدم الخروج على الحاكم فيكون التمرد على الدين سيد الموقف.٣٥

لقد ظهر الإلحاد بصورة واضحة بعد تلك الثورات العربية حيث الانفلات الأمني والسياسي والاجتماعي التي بدورها ساهمت في الظهور اللافت فتلك بيئة خصبة للتمرد ووضع الإنسان وفكره على محك الاختبار.

الجهل بالدين

لعل موقف الكنيسة وصراعها السابق مع العلم وثورة الناس عليها لما فيها من خرافات دينية يمجها أصحاب الفطرة السليمة، كان له بالغ الأثر لدى الكتاب والمفكرين الغربيين في كتاباتهم التي نقلوها للعرب وتوهموا أن ما ينطبق على دينهم ينطبق على الدين الإسلامي، وتلقف تلك الكتابات والمؤلفات شرائح معينة وتأثروا بها، إما للطريقة التي كتبت بها ودس السم في العسل، أو أنها وافقت هوى في نفوسهم، دون أن يكلفوا أنفسهم في البحث عن حقيقة دينهم الإسلامي الذي يحث على العلم والتعلم والتفكر وإعمال العقل، ويرفع قدر العلماء، وطبق العرب ما طبق الغرب؛ فكانت النتيجة هجر كل ما له صلة بالدين وفصل الدين عن مناحي الحياة، ووصل الأمر لإنكار وجود الله.

ومما عزز ذلك عجز رجال الدين عن تقديم خطاب دعوي يجاري مستجدات ومتغيرات الوضع ويوضح للناس، فلا يوجد خطاب علمي يفحم الملاحدة.

وانظر للمعارف الدينية الجافة التي تدرس لأبنائنا، حيث الحشو والتلقين وتكديس المعلومات، أين تلمس المغزى والعلة، وكيفية التعامل مع المشكلات وحلها، وتوجيههم لمصدر تلقي المعلومات إذا عرضت لهم الشبه.

وأيضا عدم التفريق بين الإسلام كدين وبين من يخطئ وهو منتسب إليه، كالجماعات المتطرفة أو المتشددة.

فكانت النتيجة فراغ عقدي، ومن ثم انحطاط في كل شيء وضعف للعالم الإسلامي.٣٦

النفس الإنسانية

لا شك أن المستعد للشيء تكفيه أضعف أسبابه، فلو كان الفكر هشا لا يستند على أرض صلبة سهل اختراقه، فإذا تكالبت عليه الشبهات والشكوك ووجدت استعدادا ذهنيا ونفسيا وبعض الضغوطات ووقف منها موقف المنبهر بكل ما هو غربي، آتت أكلها سريعا ودون عناء.

وإذا كانت النفس صاحبة شهوه تغلبت على صاحبها وزينت له إباحتها وأوهمته بشتى الطرق أن تحريم الشارع لها خال من أي حكمة، ولا يوجد أي شرع يبيح الفواحش إلا الإلحاد، فتجد النفس غايتها وما الشواذ منا ببعيد.٣٧

وإذا شعرت النفس بالانهزامية والاستصغار لذاتها نتيجة مقارنة واقعها -وما كانت عليه وما آلت عليه -بالغرب وحضارته ورفاهيته وتفوقه -وخاصة فئة الشباب-وتأصل لديها الشعور بالدونية، بدأت تتشبه بمن تظنه صاحب التفوق والحضارة وإن كان على باطل، فتترك الدين حتى لا توصف بالتخلف والرجعية ٣٨

ف"النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت له.... فتنتحل جميع مذاهبه وتتشبه به"٣٩

كذلك إذا كانت النفس معتدة بنفسها حد الغرور قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ} الأعراف١٤٦.

وإذا كانت صاحبة نقص، فيحاول صاحبها أن ينفك عنها فيلجأ للتعالي، -كالمستجير من الرمضاء بالنار- فيخالف ليعرف، ويهاجم مشهورا ليشهر، بل ويشتري الصيت والشهرة.

الجانب الاجتماعي

المجتمع الهش دينيا الذي لا يعرف ماله وما عليه يسهل اختراق الإلحاد له، ولعل ما يفعل بالمرأة الآن لهو خير دليل، حيث يتم اللعب على وتر حق المرأة المهضوم، وتسلط الأب والأخ والزوج عليها وحثها على ترك المنزل والأولاد والخروج للعمل وإثبات الذات وتقع المرأة بين واقعها وما زينوا لها، والأشد وقعا أن يتم تبرير ذلك دينيا، فتنشد حريتها فتجد الإلحاد مستقبلا ومرحبا.

أصدقاء السوء لهم دور بارز في نقل العدوى، إذا تلاشى مستوى معرفة الدين وعدم مراقبة الله وخشيته، ووسائل التواصل الاجتماعي التي جعلت العالم كله يأتي إليك وأنت في مكانك.[٤٠]

الجانب الأسري

لا جدال ولا خلاف في الدور القوي والفعال الذي تلعبه الأسرة في تشكيل فكر الطفل ووجدانه

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

وَما دانَ الفَتى بِحِجىً وَلَكِن يُعَلِّمُهُ التَدَيُّنَ أَقرَبوهُ

لا شك أن الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين الطفل وشخصيته وتعليمه الدين والعادات والتقاليد، فإذا كان البيت خاليا من تعاليم الإسلام، ولا يرى له استقامة ولا صلاح، ولا يأبه لتربية سوية فما حال الطفل الذي سيخرج من هذا البيت؟ وكيف إذا قابلته أدنى شبهه في الدين كيف سيتعامل معها؟

وإذا كانت أسرة ذات دين لكنها قامت بتربية غير سوية فيها الشدة والغلظة والتهميش والإساءة والضرب وكبت أسئلته والاستهزاء به والسخرية من آرائه، فماذا ستكون ردة فعل هذا الطفل حين يشتد عوده؟

غالبا سيتمرد هذا الطفل، كارها أسرته، وربما اختار الخطأ لا لشيء فقط إلا لأن أسرته تريد له الصواب، نكاية فيهم ومعاندة، وربما أقنع نفسه أن الدين نفسه لا يملك إجابات عما كان يسأل عنه في الماضي، وتكون الطامة حينما يتنكر هذا الشاب للدين وينزلق للهاوية؛ فقط لأن أسرته المسلمة لم تقدم له شيئا.

ولا نهمل جانب المشاكل الأسرية كالطلاق والنزاع وعد الاحترام بين الأبوين وما تتركه من أثر سيء في حياة الأبناء.[٤١]

الجانب التعليمي

يعد التعليم من المؤثرات المهمة التي يلجأ إليها إما لإصلاح مجتمع ونهضته، أو فساده وزعزعته.

ولعل صيحة إرسال شبابنا للتعليم في الغرب والحصول على شهادات من جامعات مرموقة هي المتصدرة فيعودوا بشهادة ويخسروا شهادة.

فنرسلهم ظانين أنا نريد بهم خيرا لكن نغفل -أو نتغافل-تلك البيئة المادية الجافة التي أنتجت فلسفة مادية نتج عنها الحضارة الغربية التي نراها، نغفل الاختلاف في القيم والعادات والتقاليد والأخلاق، نغفل إحاطتهم بما يحفظ عليهم فكرهم، نغفل الرقابة، فيعودوا بفكر غير الذي ذهبوا به-إلا من رحم

ربي-ويظهر في كتابات كثير ممن ابتعث فكرة رفض الوحي باعتباره مصدرا للمعرفة فيرفضون الدين وتعاليمه.٤٢

أما إذا كان يتعلم في داخل بلده فسنلحظ المناهج الرثة التي امتدت إليها يد الغرب بدافع التطوير والتحديث ومواكبة العصر وخاصة في الدين، والحشو الذي ينفر ويغث المتلقي، حتى وإن درس العلوم وتخصص فيها فلا نجد الدين والأخلاق كمرجعية، فيسهل تعرضهم للشبهات.

كذلك لا يوجد مواد ولا كتب تفند الشبه بديباجة عصرية تجذب الشباب، على الجانب الآخر نجد وفرة المواد المكتوبة والمسموعة والمرئية وبصورة أخاذة، ومن يلقيها له روح جذابة، وبدون مقابل، تتكلم عن الحرية التي ينشدها الجميع على كافة الأصعدة فهي بلا حدود، تقوم على التشكيك حتى تجرفهم لبراثن الإلحاد.

وهناك من العلماء من يرفض الكتابة أو الحديث عن الإلحاد -بحجة أميتوا الباطل بالسكوت عنه- وعندما يبحث الشباب لا يجد ما يرد شبهاته، فيفقد الثقة في الإسلام وعدم قدرته على مواجهة الإشكاليات.٤٣

كل ما سبق ممكن أن يؤثر في اتخاذ قرار الإلحاد كل حسب ما تعرض له، وليس كما يقول الملحد أن قرارة جاء بعد دراسة علمية دون مؤثرات خارجية.

أنواع الإلحاد

تعددت الأنواع والمآل واحد، هناك عدة أنواع للإلحاد باعتبارات مختلفة

أولا: من حيث القوة والضعف فينقسم إلى إلحاد قوي وإلحاد ضعيف

الإلحاد القوي أو الموجب أو الصلب وهو الذي يؤمن صاحبه ويجزم وبقوة شديدة على عدم وجود الله وإنكاره وإنكار النبوات، والقوة هنا ليست في الأدلة التي يمتلكها، لكنها قوة في الجزم والقطع أن الله غير موجود، ولا مجال للاعتقاد بذلك، والإلحاد الضعيف أو السالب وهو درجة أقل في رفض وجود الله لأنه يمكن أن يكون موجود مستقبلا إذا ظهر ما يستدل به-على حد زعمهم-فهنا النفي على التأقيت وليس على التأبيد كسابقه، وليس لديهم أدلة لا تثبت ولا تنفي، والبعض في تقسيماته يلحق اللا أدرية بهم لنفس معتقدهم، لكن اللا أدرية لهم تقسيم باعتبار آخر.

ولا أدري بموقفهم هذا يخففون وطأة ماذا؟ أليس موقفهم هذا هو إنكار وجود الله؟

"فالإلحاد كله قائم على السلب، وإنك لا تجد أدلة يحتج بها الملاحدة على صحة إلحادهم فهو مجرد رد فعل، وهم يرتكبون مغالطة منطقية واضحة في إثبات موقفهم الإلحادي، فإن مجرد الطعن في الدليل لا يعني إثبات نقيضه، وإنما إثبات خطأ الدليل المعروض فقط"٤٤

ثانيا: من حيث المنظور الفلسفي

ومادته مباحث الفلسفة المتعلقة بالفلسفة والمنطق والخير والشر وغيرها ويطلق عليه أيضا الإلحاد النظري، واليونان التي كانت معقلا للفلسفة طال فلاسفتها تهمة الإلحاد بسبب موقفهم من الإله، ومنهم السفسطائية الذين شككوا في الأخلاق وجادلوا في الخير والشر وشككوا في الدين وشعائره. ٤٥

ينطوي تحتهم اللا أدرية الدينية واللا أدرية الفلسفية واللا أدرية الأخلاقية

واللا أدرية عبارة عن نظرية تنكر كليا أو جزئيا إمكان معرفة العالم، يفضل الجوهر على المظهر يبقي بعيدا عن الظواهر، ولهم فلسفة تزعم أن القيمة الفلسفية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها، ولا يحكمون نفيا أو إثباتا ويكثرون من قول "لا أدري"

فهو لا يثبت وجود خالق ولا ينكر فربما يظهر لاحقا ما يدل عليه!

هناك أيضا اللا دينية وهم أصحاب موقف فكري ينكر الدين عموما فالدين عندهم ظواهر بشرية مصطنعة فالإنسان في نظرهم حر يفعل ما يشاء، ويقسمون أنفسهم فمنهم من يرفض الدين جملة وتفصيلا (لا ديني ملحد)، وهناك من يزاوج بين اللا دينية واللا أدريه فهو يرفض الدين دون حسم موقفه من الإله (لا ديني أدري)، وهناك من يرفض الدين مع الايمان بوجود إله (لا ديني ربوبي).!!٤٦

الربوبية وتسمى أيضا التأليه الطبيعي، وتقوم على فلسفة رفض الدين عموما لكنها تقطع بوجود الإله، لكنها تنفي عنه صفة التدبير فقد خلق الكون وتركه ولا يتدخل في شؤونه، ولم يكلف أحدا وتجزم أنه يمكن اثبات حقيقة الإله الخالق بالتأمل ويمكن الوصول لها بالعقل والمنطق والعلم٤٧

وهناك الإلحاد العلمي الذي لا يعترف إلا بالتجربة والحس والمشاهدة، ويتعامل مع كل شيء على أنه قضايا تركيبية أو تحليلية وما عدا ذلك فهو فارغ لا معنى له وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.

ثالثا: من حيث الفكر الأيديولوجي

بالرغم من أن الإلحاد لا يعترف بالأديان ويرفضها رفضا تاما، لكننا نجده يضع لنفسه أيديولوجية يسير عليها -حتى لو كانت فاسدة-فهو يدرك وإن لم يصرح أن لابد من خطة يسير عليها.

وله تقسيماته وتفريعاته الداخلية وقد تصل التفريعات الداخلية إلى العشرات داخل النوع الواحد، كالإلحاد الشيوعي وينقسم لماركسي وغيره، والحاد علماني بشقية ٤٨

حتى وإن لم نسلم بكون الإلحاد ظاهرة-علميا- إلا أننا لا نستطيع إنكار أننا أمام جائحة عقدية نرجو انحسارها.

والجائحة إذ تحمل معاني الشدة والقهر والمصيبة والهلاك والاستئصال وعدم استطاعة الدفع، فلا غرابة أن تنضوي تحتها كل ما يدخل في هذا المعنى من الفتن المبيرة، ولا تقتصر على الزروع والثمار ولا تقتصر على أنها من السماء، فلا يوجد ما يقصرها فقط على الزروع أو كونها من السماء، وتكون الجائحة من المصائب كلها وكل ما يتلف ولا يستطاع دفعه سواء من السماء أو من الآدميين.٤٩

أما العقدية، فالاعتقاد عند علماء المنطق هو التصديق الجازم ٥٠، وعرفها جوستاف لوبون ب "إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل"٥١

ويضيف على تعليقه" فلا دخل للعقل في إيجاد هذا الإيمان وإن حاول تأييده بعد كمال تكوينه ولذلك تكون العقيدة مطابقة للواقع حينا وغير مطابق له في أكثر الأحيان"٥٢

لكن علماء التوحيد المسلمين حينما يتكلمون عن العقيدة فإنهم يقصدون بها العقيدة الصحيحة الناشئة عن دليل فهي عندهم ترادف العلم، فالعقيدة هي: "الإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل"، والإيمان هو التصديق الجازم ويخرج به الشك والوهم والظن والمطابق للواقع معناه الصحيح وبهذا القيد يخرج عن دائرة الاعتقاد الجهل المركب وهو نقيض الحقيقة.

والثابت بالدليل لإخراج التقليد الصحيح وهو الأخذ بالقول الصحيح من غير معرفة دليله.٥٣

ومن ثم فإن الجائحة العقدية هي تلك الفتن المبيرة التي تدخل على العقيدة لزعزعتها والتشكيك فيها والاستهانة بها

فكل ما يدخل على عقيدة المسلم بغرض الإتلاف أو الاستئصال جائحة عقدية.

الإلحاد قديما وحديثا

سبق الحديث عن الإلحاد وكيف نشأ في أوروبا، وأنه كان ردة فعل على الكنيسة وما فيها، وما آل إليه الوضع من إنكار للدين والإله.

أما العرب حتى قبل الإسلام ورغم عبادتهم للأصنام والنجوم والكواكب حتى الأبقار والجمال لم يثبت عنهم انكار وجود الله، حتى الدهرية العرب -وهم من ينكرون قدرة الله على البعث والحساب - لم ينكروا الخالق. ٥٤{وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} الجاثية ٢٤.

وفي عصر رسولنا الكريم لم يوجد أحد أنكر وجود الله عزوجل {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ }الزخرف ٨٧ { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وٱلأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} يونس ٣١ فهم على يقين تام من وجود الخالق الرازق وبالرغم من ذلك ظلموا أنفسهم بالإشراك وكانت حجتهم { أَلاَ لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }الزمر٣

حتى من ادعى النبوة لم ينكر وجود الله فهو يدرك أن النبي مرسل من الله لتعليم العباد.

وعبر تراثنا اتهمت عدة شخصيات -بارزة تميزوا في مجالهم-بالزندقة٥٥ والالحاد

من هؤلاء أحمد بن يحيي بن إسحاق أبو الحسين المعروف بابن الراوندي

كان أبوه يهوديا، كان مع المعتزلة، ثم تشيع، ثم فارقهم لليهودية، فكان لا يستقر على مذهب

صنف لليهود كتاب (النصرة على المسلمين) مقابل أربعمئة درهم فلما أخذ المال رام نقضها فزادوا له فسكت، له من الكتب نحو مئة وأربعة عشر كتابا.

من كتبه (نعت الحكمة) و (الزمردة)و(الدامغ)و(إنكار الصانع) و(فضائح المعتزلة) وغيرها ونقض كتابه الدامغ أبو علي محمد بن إبرا هيم الجبائي في كتابه (النقد على ابن الراوندي) ونقض كتابه الزمردة أبو الحسين بن محمد الخياط في كتابه (الانتصار والرد على ابن الراوندي) وغيرهم قاموا بالرد عليه، قال ابن عقيل عن ابن الروانديي كيف لم يقتل وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن والزمردة يزدري فيه على النبوات؟ وحكي أنه تاب عند موته، وأكثر كتبه صنفها لابي عيسى اليهودي.٥٦

لقد انتقل ابن الراوندي من مذهب لآخر حتى أنه ترك الإسلام بالكلية، وكل ما انتقل إليه لا ينكر وجود الله، والناظر لحال هذا الراوندي يدرك أنه لا يبحث إلا عن مصلحته فهو مع المال أينما دار، فهو عبد للمال، وعبد لمن يدفع أكثر، يأكل على كل الموائد ثم يبصق على من يتركها، بل ويقدحها إذا أعطي، ليس له مبدأ -وما أكثر أبناء الراوندي في عصرنا الحالي-فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه، لكنه نموذج وجد في تراثنا وبالرغم من شناعات كتبه وكتباته إلا أنه لم ينكر وجود الخالق.

وأبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الكناني البصري المعروف بالجاحظ، ولم يسلم عبد الله بن المقفع من الاتهام بالزندقة.

"أما تهمة الزندقة فكانت تهمة شائعة تلقى على من يراد إباحة دمائهم لتكون سندا لإجراءات العنف التي تتخذ"٥٧

يقول ابن المقفع في آثاره: "ومما يدل على معرفة الله وسبب الإيمان أن يوكل بالغيب لكل ظاهر من الدنيا، صغير أو كبير، عينا، فهو يصرفه ويحركه. فمن كان معتبرا بالجليل من ذلك فلينظر إلى السماء فسيعلم أ ن لها ربا يجري فلكها، ويدبر أمرها، ومن اعتبر بالصغير فلينظر إلى حبة الخردل فسيعرف أن لها مدبرا ينبتها ويزكيها.....فكل ذلك يهدي إلى الله ويدل على الذي كانت منه هذه الأمور مع ما يزيد ذلك يقينا عند المؤمنين بأن الله حق كبير ولا يقدر أحد أنه باطل"٥٨

مما تقدم نلحظ أن فكرة إنكار الله عز وجل لم تكن موجودة في تراثنا وغالبا ما تكون تهمة سياسية أو شخصية أو حزبية، ترمى جزافا لتكون مسوغا لما قد يفعل بصاحبها.

الإلحاد في عصرنا الحديث

لم يعد الإلحاد مقتصرا على شريحة معينة من الناس، بل امتد إلى قاعدة عريضة، وهو إلحاد يتجاهل الفلسفة ويستند إلى العلم والتجربة وأن العالم تخطى مرحلة الدين، فلا قضايا دينية ولا فلسفية فقط العلم والتجربة.

ولأن لكل شيء شرة وفترة، كذلك الإلحاد عاد لمجتمعنا وبقوة، وقد ساعد واقع المسلمين في عصرنا الحاضر على شيوع هذا الإلحاد، فالواقع البائس في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية حاضن أساسي وممهد له، وقد تم الحديث عنها آنفا.

وتشرذم الأمة وانقسامها، والثورات والفتن والقلاقل والغلو والتعصب والتفريط في الدين، وتصرفات من يحسب على المسلمين، والجمود وسطحية الفكر واصطدام أحلام الشباب بواقع صادم.

أضف إلى ذلك غياب القدوة والتوجيه السليم وافتقارنا للجانب المعرفي المتمثل في الكتب والمؤلفات ذات اللغة المناسبة لمقتضى الحال. كل هذا ساعد في تكوين بيئة حاضنة للإلحاد.

وأصبح الشباب تائها بين فرق الأمة ومذاهبها لا يدري أين الصواب ويتساءل كيف يرضى الله بهذا؟ والقتل والتعذيب والإبادة للمسلمين لماذا؟ ولماذا يتركهم الله؟ ولماذا كل هذه الشرور؟

كل هذا ناتج عن عدم فهم لعقيدة القضاء والقدر، وسيادة سنن الله في كونه، وغياب من يوجه ويصحح ويعالج.

أصناف الملاحدة

من هذه الدوافع والبواعث تشكل عدة أصناف للملاحدة. أشار إليها د/محمد العوضي " فأقول: أحد أنواع أصناف الملاحدة هم جماعة الإلحاد التبريري، أقصد الذين يسرفون على أنفسهم بالملذات الحرام والشهوات والمجون، فإذا سألتهم عن هذا السلوك المنحرف لماذا تشربون الخمور وتزنون وتأكلون الربا وتلعبون القمار وتتركون الصلاة والصيام؟ ... الخ، أجابوك لأننا لا نؤمن بالله، ومن ثم لا نؤمن بأحكامه الحلال والحرام، فهم يبررون فجورهم بإلحادهم. وصنف آخر إلحاده نفسي كردة فعل لأزمات عديدة وحادة في حياتهم، فكلمات إلحادهم عبارة عن نفثة مصدور. وفريق ثالث يريد من إعلان إلحاده للشهرة والتباهي بالعصرنة، وهذا يمكن أن يفهم من بداية عصر النهضة من باب الانبهار بالغرب أو الفتنة بالعلم، ولكن الآن يعتبر ضرباً من النفاق أو الحمق! وهناك الإلحاد العملي، أي الذي لا يصرح بإنكار وجود الله، ولكن المسألة كذلك لا تعنيه، فالمسألة عنده سيان موجود أم غير موجود، هو إنسان مادي مشغول بجمع المال وزيادة الأرباح وتوسيع دائرة الملكية وتحقيق آماله وأحلامه في امتلاك شركات وشراء جزر، وهناك ملحد جعل إلحاده مادة ووسيلة لإغاظة المؤمنين والتحرش بهم وإيذائهم وهذا مسكين ينتقم بطريقة انتحارية بلا وعي."٥٩

آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع

ربما ظن الملحد أنه نجا من أزمة الدين والتدين والقيود، وانطلق من الضيق إلى رحابة الحرية والاستقرار النفسي لكن هيهات. وطبقا للإحصائيات المسجلة حول ظاهرة الانتحار وجد أن الملحدين هم أكبر نسبة انتحار وذلك بسبب الاكتئاب والقلق وعدم الاتزان والخوف من المستقبل الذي يعانوه. ٦٠ قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ أَعْمَىٰ} طه ١٢٥

ويعد الملحد أكثر عدوانية من غيره، لأن الدين يساعد صاحبه على تحمل مشاق الحياة وصعوباتها.٦١ قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً} الشرح ٥،٦ فالدين قوة لصاحبه وسياج منيع للمتمسك به ومأوى لمن ألمت به الخطوب.

الانحطاط الأخلاقي والغرق في الشهوات و انعدام الضمير، فيغلظ قلبه وتنحط نظرته لكل ما في الحياة، لأنه يفتقد جانب الإيمان الذي يصقل الروح ويربطه بالقيم والأخلاق والمثل العليا وفقد الوازع الرقابي قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ} العلق ١٤ فهو يفعل ما يحلو له ما يشاء وقت ما يشاء دون رقيب ولا حسيب ولا حدود لتصرفاته فلا إيمان ولا قانون يوجه فكره ويحمى بصره

ويروض شهوته، مما يؤدي إلى فقدان الأمن والأمان ويصبح شعار الغابة البقاء للأقوى هو سيد الموقف، ومن ثم فلا يمكنه بناء حضارة تسهم في رقي المجتمع ورفعته.٦٢

التقليد الأعمى للغرب الذي انبهر به حتى في الملابس، فنرى الممزق والمحروق والعاري وقصات الشعر وألوانه الفجة كل ذلك يساعد على انتشار الرذائل.

ومن أبرز سمات الإلحاد الحديث

الجهرية الشديدة به والدعوة إليه حتى باتت الدعوة جهارا نهارا له، وفي بلادنا أصبح العداء السافر للدين وللرسول واضحا بلا تورية- ليس كما كان في السابق حيث التلميح لا التصريح والكلام الذي يحمل وجوه - وراج التشكيك في السنة وصاحبها وهدفهم (إنكار النبوة) ومن ثم القرآن وعليه فلا يوجد إسلام، وأن هذا الدين هو مصدر تأخرنا وتعاليمه التي تكبت الحريات وتقمع المرأة هي التي جعلتنا في ذيل الأمم!

وبدأ المبشرون -سواء كانوا ممولين أو موهومين-بالعمل الدؤوب بلا كلل ولا ملل لاستقطاب أكبر عدد من الشباب وحتى الأطفال، فكانت الكتب التي تشكك وتزعزع الدين بأسلوب براق يطرح الأسئلة ويجيب بطريقة تجذب الغر. فكيف يسأل ويجيب في آن واحد؟ إنه يريدك أن تقتنع بمعتقده، ومن تلك الكتب كتاب (نبيك هو أنت لا تعش داخل جبته) لوفاء سلطان فهي تتعرض فيه لكل ثابت بجهل مركب، تتعرض لله ولكلامه ولنبيه وتكيل الاتهامات والسباب والتهكم والسخرية لكل ما هو إسلامي.

تقول تحت عنوان: "لم يستطع كتاب في تاريخ البشرية أن يبرهن على أهمية الكلمة كما استطاع القرآن، وبرهانه يكمن في الكم الهائل من التخريب العقلي الذي أحدثه لدى قرائه وأتباعه"٦٣

"لقد تحولت أفكار محمد إلى قرآن، وصار القرآن أفعال المسلم، ثم صارت أفعاله هويته، وبالتالي قادته هويته إلى قدره.....محمد أتاكم بكتاب لا تستطيع حتى وفاء سلطان أن تفهمه، أما وفاء سلطان فآتتكم بكتاب يستطيع الأمي أن يفهمه! هذا هو البيان وهنا يكمن إعجازي!"٦٤

إن القرآن يخاطب القلوب قبل الفهوم فما ذنبنا إن كان طال قلبك الختم، نسأل الله السلامة ولعله كان من الأبلغ أو الأكثر إعجازا أن يكون كتابك يستطيع أن يقرأه الأمي لا أن يفهمه فقط!!!

والكتاب يتقيأ سما بما حواه من مغالطات ومخالفات وجهل مركب.

وبالإضافة إلى الكتب كانت المطويات التي توزع في كل مكان والبرامج التليفزيونية والمسلسلات والأفلام والأغاني وحتى برامج الأطفال كلها موجهه وفي خدمة نشر هذا الفيروس المتحور.

وبرامج التواصل الاجتماعي حدث ولا حرج، واليوتيوب والإعلانات في الشوارع وعلى الحافلات وحتى المطبوعات باللغة الإنجليزية على الملابس التي يرتديها الناس ولا يعلمون معناها، والدورات المجانية التي تقام ويجذب بها الشباب، بل وإنشاء مؤسسات خاصة للدعم والتطوير. ٦٥

من سماته أيضا تلك اللغة التي يكتب بها فالخطاب العدائي ولي الحقائق والاستفزاز والتحقير والسب والتطاول والكبر هو المسيطر.

الصوت العالي هو المتصدر والهجوم وتحقير الدين ورموزه وتوظيف الأعمال الفنية لخدمة ذلك وإبرازه، فدائما صاحب اللحية والجلباب هو دائما اللص الكاذب الإرهابي زير النساء لا مبدأ له.

قد أورد عبد الله العجيري في كتابه ميلشيا الإلحاد مقتطفات من كلامهم وأساليبهم وتطاولهم الفج حتى في تسمية كتبهم أقل ما تنعت به هو القذارة والبذاءة.٦٦

أما سيد القمني فهناك عشرات المقاطع المصورة التي تطفح بالأذى والتطاول.

ومن سمات الخطاب الإلحادي الحديث غياب الأخلاق فهم يعتقدون أن الأخلاق من صنع الإنسان نفسه فهو مقياس نفسه يفعل متى شاء ويترك متى شاء، فالأمر موكول له ولإرادته٦٧

فنجد ذلك الخطاب الذي يلعب على الغرائز ويدغدغ المشاعر ويسوغ اللاأخلاقي، فأنت الذي تحدد الأخلاق، فنرى الترويج للعري والإجهاض والزنا وزنا المحارم كل ذلك يطل علينا عبر الشاشات، والإعلانات في الشوارع، والمرأة التي كانوا ينادون بتحريرها هي مادة هذا الابتذال.

وهذا هو سيد القمني يبيح الزنا طالما بالتراضي، بل ويحذر من منع ذلك، حيث منعه يؤدي إلى أزمات جنسية. ٦٨

هذا هو الإلحاد الحديث يسخر من الله عزوجل ورسوله الكريم، ويسوغ القبيح، ويشوش العقل ويغرق في الشهوات، ويستبيح الحرمات، ويحط من قدر الإنسان الذي كرمه ربه، ويقنن وينظر ويبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس، هو يحارب الدين وينصب لنفسه دينا -فاسدا- فيستبدل الإلهي بالوضعي، يستبدل الكمال بالنقص، يستبدل إشباع الغرائز بطريقة نظيفة بأخرى قذرة وضيعة تختلط فيها الأنساب، يقول بمحاربة الدين ويصنع لنفسه دينا.

المبحث الثاني: درء خطر الإلحاد بالتربية الإسلامية ومسؤولية الفرد والمجتمع

في هذا المبحث إن شاء الله سأتناول موضوع التربية الإسلامية السوية وأسسها ودورها البناء في صياغة شاب سوي يستطيع الوقوف بصلابة أمام الشبهات، يستطيع أن يفهم ويحلل ويجيب ويرد، يسأل ولا يخاف السؤال ولا يهابه، لأنه أمر فطري ولأنه يريد أن يعلم، لا يخاف الإلحاد لأنه يقف على أرض صلبة متسلحا ومترسا بالدين السليم والعلم النافع، ولا شك أن هذا لا حدث إلا بتضافر جهود الفرد والمجتمع.

لا شك أن أطفالنا هبه ونعمه من الخالق عز وجل، وهم زينة الحياة وبهجتها- إن أحسنا تربيتهم وأخذنا بالأسباب والطرق السليمة التي بينها الله ورسوله وسار عليها من بعده-

قال تعالى:

{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} الكهف ٤٦

وهم أمانة عندنا وسنسأل عنهم هل أدينا الأمانة أم ضيعناها؟

قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} المؤمنون ٨ فهم من أغلى الأمانات التي ترعى.

أما إذا أهملنا وضيعنا فبهم نشقى في الدنيا ونحاسب على تضييعهم في الآخرة.

فتقصير الآباء مع ركاكة التعليم وإهمال جوانب تلبي حاجة النشيء الفكرية والروحية والنفسية، والاستعانة بالمناهج الغربية في تعليم الأبناء مسايرة لركب التقدم وغض الطرف عما أوصى به المنهج الإسلامي، وترك الباب على مصراعيه أمام الغزو الفكري والأخلاقي لدس السم في العسل، كلها تؤدي لخروج جيل بدون دين ولا أخلاق ولا قيم، ضعيف الإرادة فارغ العقل والروح، تتحكم فيه شهواته تسوقه سوق البعير.

فلابد من تضافر الجهود وتكثيفها للاستثمار في أبنائنا وعقولهم ابتداء من البيت وكافة المؤسسات التربوية مدعومة بجهود الدولة ووسائل الإعلام حتى نتمكن من تربية النفوس والعقول ليخرج أمامنا جيل يُفتخر به حريص على دينه وعلمه وأخلاقه.

فما يراد لنا ولأبنائنا لا يخفى على ناظر، نسأل الله لنا ولهم السلامة.
تعرضت في التمهيد لمعنى التربية في اللغة والاصطلاح، والمقصود بالتربية الإسلامية، وأكمل هنا فتتميز التربية الإسلامية بالنظرة الشمولية فلا إغفال

لجانب من جوانب النفس البشرية، ولا تقصير ولا تغليب لجانب على آخر ولا إهمال، حيث التوازن بين الروح والمادة، فالتربية في الإسلام تعمل على تحقيق الهدف الذي من أجله خلق الإنسان حيث العبادة وإعمار الأرض.

وهي مستمرة في حياة الإنسان المسلم، فالتعليم واجب لكل فرد وحق على كل فرد، يتجلى ذلك في حث القرآن على العلم وتعليم الغير وبيان مكانة العلماء وترغيبه عليه الصلاة والسلام في طلب العلم، فكان المسجد أول مؤسسة تعليمية تربوية.

وتتعامل التربية الإسلامية مع التعليم على أنه استثمار في العقول وفي الإنسان وأن المتعلم هو ثروة حقيقية وقد ظهر حديثا مصطلح (الاقتصاد المعرفي) ٦٩ الذي يعنى ويهتم بذلك، بل وتتسابق الدول المتقدمة في استقطاب تلك العقول لتكون من مصادر ثروتها، وللإسلام السبق في التقعيد لذلك.

كذلك تسعى التربية الإسلامية لبناء جيل مسلم سوي متكامل يجمع بين القدرات العلمية وقوة وسلامة العقيدة، متفاعل مع ما حوله من ثقافات له القدرة على التمييز والانتقاء منها وما يتناسب معه، له القدرة على التطور والتطوير ومواجهة التحديات، يرفض التبعية والجمود، لا نزعات عرقية، لا عنصرية، فقط العقيدة السليمة والعمل الصالح ومكارم الأخلاق

التربية الإسلامية أيضا تهتم ببناء العقل والجسم والنفس والنفسية وتراعي العلاقات الاجتماعية فهي في البيت والمدرسة والشارع والنادي والعمل والإعلام بأنواعه، في كل مكان.

والعلم النافع القائم على إعمال الفكر والنظر والتدبر جزء من عملية التربية التي ينشدها الإسلام

فالعقيدة الصحيحة والعلم النافع والمعرفة والأخلاق الحميدة والتربية السوية أساس لرقي وتقدم الأمة المسلمة وتهيئة لها لتحقيق مهام الاستخلاف وعمارة الأرض.

قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ} الجمعة٢ وهذا من فضل الله علينا.

التربية الإسلامية لها مفهوم أوسع وأشمل للحياة فهي تؤهل للحياتين الدنيا والآخرة معا، قال تعالى: {وَٱبْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} القصص٧٧

فمن اتبع هذا المنهج القويم في التربية الإسلامية السوية الذي وضع الله عزوجل أطره في القرآن الكريم وطبقه الرسول وتمثله صحابته الكرام واقتدى به وكانت له القدوة سلوكا ومنهجا فلا يضل ولايشقى، فهو منهج للناس عامة كما أن الرسالة للناس عامة.

أسس التربية الإسلامية

أولا: التربية الإيمانية

ويقصد بها أن يغرس المربي في الأبناء حب الله وإجلاله ورجائه ومراقبته والامتثال لأمره ونهيه، وحب الرسول عليه الصلاة والسلام، وتنشئتهم على أصول العقيدة السليمة وتعميقها في نفوسهم.٧٠

ولعظمها في حق الأبناء يوليها الإسلام قدرا كبيرا من العناية والاهتمام حتى قبل وجودهم فيحث العازم على الزواج أن يحسن الاختيار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"٧١.

وإذا جاء الطفل يكون أول ما يسمعه ويقرع آذانه كلمة التوحيد، لقوله ﷺ :" افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله"٧٢ ويستحب أن يؤذن في أذن الطفل اليمنى ويقام في اليسرى، عن أبي رافع - رضي الله عنه - قال: (رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة) ٧٣. فيكون ذلك حفظا له، ونعوده سماع اسم الله والقرآن والأذكار فيعتاد سماع ذلك ويتعلق به ويكون له أطيب الأثر في نفسه.

وحين يكبر قليلا تقص عليه القصص البسيطة فيها معنى إيماني ونوظف ما حوله فإذا رأينا شجرة مثلا نبدأ بتوظيفها في تعلمه معنى الخالق البديع مثلا وأن هناك أشجار في الجنة وكيف نغرس شجر في الجنة وهكذا، ويبدأ بحفظ القرآن.٧٤

يكبر قليلا يعلم الحلال والحرام، أورد ابن جرير في تفسيره أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في معنى الآية: {يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} التحريم ٦، اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فذلكم وقاية لهم ولكم من النار.٧٥

وهذا من شأنه أن يعود الطفل على المنهج الصحيح فيسهل اتباعه.

ثم يؤمر بالعبادات لسبع، ويعود الصيام عدد ساعات معين ثم تزاد حتى يتعود ويسهل عليه فيما بعد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: "مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عَشْر، وفرقوا بينهم في المضاجع"٧٦

ثم يلاحظ صحبته وانتقاء الأصدقاء، ويغرس في قلوبهم حب القرآن الكريم والنبي وأحاديثه عليه الصلاة والسلام وآل بيته والصحابة الكرام، ثم يعلم أركان الإسلام وأركان الإيمان واصطحابه إلى مجالس العلم.

وحتى تؤتي التربية الإيمانية ثمارها المرجوة لابد من القدوة وهو أن يرى الطفل والديه يفعلان، فلا يأمر المربي بشيء وهو لا يفعله أو يفعل عكسه.

ثانيا: التربية الخلقية

ويقصد بها الحرص على تعويد الأبناء "منظومة القيم والتوجيهات الإسلامية، التي تصلح شأن الجماعة المسلمة، وتنظم سلوك الفرد المسلم تجاه ذاته والآخرين، بقصد تحقيق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة"٧٧. ويتم ذلك بعدة أمور منها:

أن يرى الطفل في أبويه والمربي الصفات الخلقية الكريمة -كالصدق والأمانة والشجاعة والمروءة والحلم وغيرها- في سلوكهم حتى يستطيع الاقتداء بهم فيعتاد الحسن.

الاجتهاد والعمل الدؤوب على صرفهم عن سيئات الأخلاق وموبقاتها، وخاصة الكذب، والسب، والميوعة. فلا يطلب الأب من الا بن أن يكون صادق وهو نفسه يكذب فيرسخ في نفوس الأبناء أن الكلام شيء والسلوك شيء آخر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالصِّدق، فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرَّجل يصدق، ويتحرَّى الصِّدق حتى يُكْتَب عند الله صدِّيقًا. وإيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفُجُور، وإنَّ الفُجُور يهدي إلى النَّار، وما يزال الرَّجل يكذب، ويتحرَّى الكذب حتى يُكْتَب عند الله كذَّابًا "٧٨

ولابد من مراقبة الأبناء وسؤالهم عن مال يكون في أيديهم لا يُعلم مصدره وتوجيههم باسلوك والنصح ثم الحمل على السلوك الصحيح فلا يكون هناك مجال للانحراف.

أما الميوعة والخلاعة فهي آفة العصر فلا رجولة لرجل ولاأنوثة لأنثى، وهو مجاراة للموضة -كما يبررون- وتقليد للمشاهير وما نلاحظه اليوم على شبابنا يفصح عن خلل كبير، فمن بتلك الصفات كيف يعتمد عليه وكيف ينفع نفسه ويدافع عن وطنه، ومن بتلك الحال كيف ستربي أبناء وما شكل الجيل الذي سيخرج من تحت يدها؟ كيف لمن أدمن سماع الأغاني والرقص والتمايل أن يأتي بخير؟ بَدّلنا فبُدّل علينا كنا أصحاب كلمة ورأي، والآن تداعت علينا الأكلة.

قال هاشم الرفاعي واصفا الجيل الأصيل

شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتا كريما طاب في الدنيا غصونا
فما عرف الخلاعة في بنات ولا عرف التخنث في بنينا
ولم يتبجحوا في كل أمر خطير، كي يقال مثقفونا
كذلك أخرج الإسلام قومي شبابا مخلصا حرا أمينا

وقد حذرنا الرسول ﷺ من الإسراف في التنعم والدعة لما له من أثر سلبي على الفرد والمجتمع فيركن له ويأنس به ولا يريد الانفكاك عنه، وهذا لا ينافي الاعتدال في التنعم قال عليه الصلاة والسلام" إنَّ اللَّهَ يحبَّ أن يرى أثرَ نعمتِهِ على عبدِهِ"٧٩.

الحرص على الأبناء وتوعيتهم من رفقة السوء، كذلك الحرص والتدقيق والمراقبة على كل ما يشاهدونه من برامج وأفلام كرتونية، وعدم تركهم أمام الشاشات والألعاب الإليكترونية فترات طويلة، والاقتصار على المفيد منها.

إن تعويد الأبناء على حسن الخلق والتأدب مع الآخرين وتوقير الكبير والعفو وغيرها من الأخلاق الحسنة لهو من تمام الإيمان، قال ﷺ :" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"٨٠

ثالثا: التربية البدنية

ويقصد به العناية بأبدان الأولاد وتقويتها والمحافظة عليها ويكون ذلك بمدها بما تحتاجه ليقويها ومنع عنها ما يؤذيها.

وقد اهتم الإسلام بأبدان أهله وحث على تقويتها ليتمكنوا من أداء المهمة المنوطة بهم في الحياة من عمارة الكون ونشر الدعوة والتصدي للأعداء، قال ﷺ :" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"٨١

ويتم ذلك بعدة أمور منها:

الحرص على تغذية الأولاد تغذية صحيحة مفيدة سليمة، كذلك توفير المسكن والملبس المناسبين، فالنفقة واجبة للأطفال في الإسلام، ولابد أن يكون الأكل باعتدال فلا يأكل حتى يتخم ويصاب بالسمنة والأمراض، ولا يقتر عليهم في الأكل فيهزلوا ويمرضوا، قال تعالى: {يَابَنِيۤ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} الأعراف ٣١

وقال ﷺ :" كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ"٨٢

كذلك العمل على وقايتهم من الأمراض وعلاجهم إذا مرضوا وتعليمهم عادات النظافة في أكلهم وشربهم وملبسهم.

الحرص على تعليمهم الرياضة فالعناية بهذا الجانب ليس أمرا كماليا، ففيه جانب القوة وجانب الترويح والترفيه عن الأولاد، كذلك يكشف عما داخل الأبناء من قدرات فنوجهها وننميها.٨٣

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} الأنفال ٦٠، "والقوة كمال صلاحية الأعضاء لعملها"٨٤ بالإضافة للمعاني الأخرى في التفسير.

ومن التوجيهات الإسلامية الحرص على تعليم الأولاد السباحة والرماية وركوب الخيل.

ومر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان" فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ :" ما لكم لا ترمون "قالوا: كيف نرمي وأنت معهم قال النبي ﷺ :" ارموا فأنا معكم كلكم"٨٥

وكل رياضة من شأنها أن تقوي الجسم وتصقل العقل وتصرف الأوقات فيما هو مفيد فلا بأس من تعلمها.

قال عليه الصلاة والسلام:" كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو وسهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعلم السباحة"٨٦

ولابد من تفعيل وسائل المراقبة الطيبة للأولاد وصحبتهم حتى نحافظ على ما بنيناه، فلا نصدم بتقليدهم لأحد يدخن أو يتناول المحرمات أو حوله شبهات.

رابعا: التربية العقلية

ويقصد به كل ما ينمي الفكر والعقل والمدارك والقدرات ويحافظ عليه، فالإسلام دين العلم والحث على طلب العلم وتبجيل العالم، فبالعلم تنهض الأمم، وتتم التربية العقلية عموما بالعلم والتثقيف وتنمية الفكر والمحافظة على العقل من كل ما يؤثر عليه ويضلله.

العلم: "والعلم وسيلة البشرية إلى التأمل في ملكوت الله ونواميس الحياة وأحوال الأمم والحضارات، والسيطرة على موارد الحياة ومقدراتها والسمو إلى درجة الاستحقاق والخلافة في الأرض"٨٧

وأول لحظات الرسالة تدعو البشر وتحثهم على العلم قال تعالى: {ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} العلق ٥:١

فالقراءة مفتاح العلم وأول درجاته، وبين لنا الرسول عليه الصلاة والسلام فضل العلم والحث على طلبه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"٨٨

ومن أفضل الدعاء طلب الاستزادة من العلم قال تعالى: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} طه١١٤

وقد فرضه الإسلام على كل فرد، والعلم أحد الطرق التي يصل بها الخير للإنسان بعد وفاته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"٨٩

وللمتعلم والعالم درجة رفيعة قال صلى الله عليه وسلم :" مَن سلَكَ طريقا يلتَمِس فيهِ علما، سَهَّل اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِب العلم رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماء، وفضلَ العالِمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماء ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ"٩٠

ولابد للعالم أن يعمل بعلمه، وأن ينشر العلم لغيره فهو سيسأل عن ذلك قال عليه الصلاة والسلام:" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟٩١

وأفضل العلم ما يتم في الصغر فينتقش نقشا في عقول الأبناء فلابد من تعليمهم العلم النافع، وتوصيل الدين لهم بصورة مبسطة متدرجة، وقص سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بصورة مشوقة وغرس حبه في قلوبهم، والاهتمام باللغة العربية وإتقانها، ثم تأتي اللغات الأخرى بعد ذلك.

ثم يأتي التثقيف وتنمية الفكر فيحببوا في القراءة والاطلاع كل حسب عمره وميوله ويحفزوا عليها، ويراعي تقديم المعلومات سليمة لأنها سترسخ في عقله وفتح باب الأسئلة أمامهم ويُسمع لهم ولا يُنهروا إذا تجاوزوا في الأسئلة، ويعرفوا تاريخ أمتهم والأمم الأخرى ويُعرّفوا ما يدور حولهم وما يراد لأمتهم، حتى ينشأ جيلا يقظا لا ينساق ولا يفتن بالآخرين، وتنتقى لهم الكتب ويراعي فيها العرض والشكل المشوق، وللأسرة والمعلم والمؤسسات التعليمية دور كبير ومؤثر.

خامسا: التربية النفسية

بما أن الإسلام دين متكامل لا يهتم بجانب ويهمل آخر، لم يغفل جانب الروح والنفس واهتم بتهذيبها وترويضها وتقديم كل ما يصلحها، وإبعاد ما من شأنه أن يدخل عليها الفساد والتشويش.

وتبحث التربية الإسلامية النفسية عن كل ما يؤثر في نفس الطفل وروحه إيجابا فتنميه، وسلبا فتنحيه حتى يشب سويا معافى.

وحث الإسلام على التعامل مع الأولاد بلطف وإظهار الحب لهم والتبسط معهم وتقبيلهم، وأيضا بتحرير الأولاد من بعض الصفات التي تسبب لهم خللا نفسيا يؤثر عليهم في حياتهم ويكون عائقا في المستقبل فلا ترج منهم فائدة، ولا شك أن التربية المتوازنة للطفل لها بالغ الأثر في شخصيته واستقرارها وسلامته من الأمراض النفسية كالخوف والخجل والغضب والشعور بالنقص تلك الصفات من شأنها أن تنشأ شخصا غير سوي عدواني، أناني، منطوي، وقد تتطور وتنحى به منحى الفساد والضرر له ولمن حوله فيما بعد.

لابد أن يشعر الطفل بالحب وأنه مقبول بين أفراد عائلته ومقدر، فذلك له الأثر الطيب على صحة الطفل النفسية، وبالرغم من أن حب الأبوين لأبنائهم غريزة فطرية، إلا أن هناك من الآباء من لا يظهر تلك المشاعر وهذا من أكثر الأشياء التي تؤثر سلبا على نفسية الطفل .٩٢

إن إظهار الحب بالقول مباشرة أو التقبيل أو غيره أمر مطلوب في التربية، لتسهل مهمة التربية وتؤتي ثمرتها المرجوة-إن المحب لمن يحب مطيع- فالفظاظة والغلظة سبب النفور والبعد، فلا يتقبل الطفل أي نصح أو توجيه من المربي القاسي.

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران ١٥٩

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم"٩٣

ولا يقصد أبدا الإفراط في التدليل فهناك فرق بين إظهار المشاعر والتدليل الزائد الذي يدمر الطفل.

أيضا الحوار واحترام رأيه وعدم تسفيهه والعدل بين الأولاد في الحب والعطايا، كل ذلك من شأنه أن يخرج نفسا سوية مطمئنة.

كذلك لابد من التعامل مع بعض الصفات السلبية عند الأولاد التي تؤثر في شخصيتهم ونفسيتهم مستقبلا، كالخجل ويقصد به الاستحياء الشديد والانطواء الذي يعيق عن الكلام والحركة وعدم التصرف الصحيح والسريع فيما يعرض من مواقف وهو شعور يبدأ عند الأطفال من سن أربعة شهور ويتضح عند العام الأول ويزداد عند الثالثة، ويمكن التغلب على ذلك بدمج الطفل مع أقران له والمداومة على ذلك.٩٤

ذكر ابن قتيبة: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مر بأولاد يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا إلا عبد الله. فقال له عمر -رضي الله عنه-: ما لك؟ لم لا تهرب مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقا فأوسع لك.٩٥

وروى البخاري في صحيحه عن سهل ين سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟" فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده.٩٦

ونلحظ أن الغلام على يمين النبي ومع أنه صغير إلا أن الرسول ﷺ لم يتخطاه ولم أو يهون من شأنه، بل سأله، وانظر إلى الغلام وتربيته على الثقة بالنفس وأنه يريد أن يفوز هو بسؤر النبي ﷺ ، فأعطاه، فهذه جرأة أدبية لا تنافي الحياء.

ومن الصفات السلبية التي تؤثر في نفس الطفل ويجب التخلص منها الخوف ويقصد به الخوف السلبي، ليس الخوف الإيجابي فالطبيعي أن يخاف الطفل، وهو دليل على ذكائه، لكن من غير الطبيعي أن يزيد ذلك الخوف ويصل إلى حد الهلع فينشأ جبانا رعديدا لا يصلح لشيء.

ولعل تخويف الطفل وسرد قصص الأشباح لإسكاته أو ترهيبه من شيء لهو السبب الأساسي في زرع الخوف فيه ونشأته جبانا. ولتغير موقف الطفل مما يخاف يجب التدرج معه وعدم التعجل ولا طريقة أجدى من الإيحاء ثم التقليد.٩٧

وأيضا الشعور بالنقص والإهانة والتسفيه والحسد والغضب كلها من الصفات النفسية السلبية التي تؤدي إلى زعزعة الثقة في نفس الأولاد، ومساعدتهم في التغلب عليها يُنشأ جيلا متوازنا قويا نفسيا ينفع نفسه ومجتمعه.

سادسا: التربية الاجتماعية

ويقصد بها تعليم الأولاد التعامل مع المجتمع والتفاعل مع محيطهم ومدى علاقتهم مع من حولهم وكيفية القيام بالسلوك المقبول المحمود والابتعاد عن غيره، مما يؤدي إلى تماسك المجتمع.٩٨

وتتم بعدة أمور أهمها مراعاة حقوق المحيطين بهم، كحقوق الوالدين والإحسان إليهما في حياتهما وحتى بعد وفاتهما.

وحقوق الأرحام واحترامهم وصلتهم، فتقوى الروابط الأسرية وتعودهم على التعامل الطيب مع الجميع وهي دليل الإيمان قال ﷺ :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"٩٩.

ويتعلم حقوق الجار وكيفية الإحسان إليه، عن عائشة -رضي الله عنها- وعبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورِّثه".١٠٠

وحقوق المعلم فيتعلم الانصات إليه واحترامه وتبجيله مما يكون له الأثر على الأولاد أنفسهم فيحسن التعلم والاستفادة، كذلك يحترم الكبير ويكرمه قال ﷺ " ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا"١٠١

ويتعلم آداب التهنئة، وآداب التعزية، وآداب عيادة المريض، وآداب الطعام، والشراب، وغيرها.

لقد نجح الإسلام من خلال تربيته في إيجاد نموذج ملهم للإنسان المسلم نموذج يحقق التوازن والتكامل بين الفرد والجماعة، فأعطى الفرد حريته والعمل على تحقيق ذاته وفي نفس الوقت يؤكد ويحث على دوره الفعال في بناء المجتمع من خلال تلك الشخصية المتوازنة التي لا تعتدي على حقوق الآخرين وهذا الاعتداء منشؤه الإسراف الذي لا وجود له مع التربية الإسلامية التي تعني بكل شخص على حده وتراعيه، فهو اللبنة التي سوف تتشابك مع نظرائها ليقوم مجتمع قوي صالح، متوازن في فرديته متوازن مع الجماعة.١٠٢

إن الاجتهاد في تطبيق منهج التربية الإسلامي لكفيل بولادة جيل سوي متوازن له شأن ووزن وكلمة يتولى زمام الأمور كما كان سابقا، فتأسيس الأبناء وتربيتهم على أسس التربية الإسلامية وتعزيز القدوة أمامهم بفعلنا نحن ما نعلمهم إياه سيصلح الخلل في الأجيال القادمة.

إن الهدف من التربية الإسلامية هو إعداد الفرد المتوازن والجماعة المتوازنة لتحقيق الهدف الذي من أجله خلق الإنسان، فقد وازنت التربية الإسلامية بين

كافة جوانب الإنسان ولم تطغ جانبا على آخر، فكانت العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة تدور مع الإنسان في كل مناحي الحياة في التعليم والمعاملات ليكون نتاج ذلك شباب مسلم متعلم -كافة العلوم- متسلح بالعلم والمعرفة لا تنفك عنه عقيدة صحيحة ولا أخلاق حميدة.

لقد تميزت التربية في الإسلام عن غيرها باحتفائها الشديد بالطفل منذ قدومه، لا بل حتى قبل قدومه حين حثت على اختيار الزوجة الصالحة، وأحاطته بالحب والرحمة وهيأت له كل سبل العيش الكريم.

وتدرجت معه في تعليمه ما يناسب سنه وعقله وراعت الفوارق بين الأولاد في تفكيرهم واستيعابهم وطاقاتهم حتى لا يضجروا ويسأموا.١٠٣

وعنيت أشد العناية بتخير الصحبة الصالحة فهي أساس كل خير- إن صلحت- وأساس كل بلية -إن فسدت-، قال صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة"١٠٤

واهتمت بالقائم على عملية التربية كونه قدوة للأولاد وما سيقول ويفعل سيظل راسخا في عقولهم، فنهت أن يأمر بحسن ولا يأتيه، وينهى عن قبيح ويفعله {أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}البقرة ٤٤

وأولت عناية بالجسد وقوته، فغذته ودربته وقوته كذلك الروح هيأت لها ما يقويها وأبعدت عنها ما يضعفها ويوهنها، فكان الإيمان قوة لها، وعقيدة القضاء والقدر لتريح ما يعتريها من تقلبات

فتنتج جيلا صاحب عقيدة قوية مؤمن، صادق، متفائل، لا يعتريه شبه الإلحاد والشك ولا تصل إليه.

فالتربية الإسلامية لها دور كبير في إرساء الأمن بكافة أشكاله، فالتربية الإيمانية السوية تحقق لأولادنا الأمن الفكري، والتربية الخلقية والعقلية والنفسية والبدنية والاجتماعية لها دور فعال في التعامل مع التحديات المعاصرة التي يمر بها الجيل، والعولمة الثقافية والعولمة الاجتماعية، فهي مرنة تعطي لصاحبها انتقاء ما يتناسب معه وترك مالا يتوافق فلا تقليد ولا تبعية ولا انبهار غاية الأمر أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وعمل بها، والحق يؤخذ ولو من إبليس.

هي تربية عالمية هدفها الإنسان الصالح وليس المواطن الصالح.١٠٥

المسؤولية الفردية والمجتمعية لدرء الإلحاد

يحرص الإسلام أشد الحرص على أن يبين الطريق الواضح للناس كافة، كما يحرص على إخراجهم من الظلمات وهدايتهم للطريق القويم، وله منهجه الخاص والفريد في التعامل مع ما يطرأ ويستحدث من انحرافات تحيد بالإنسان عن الطريق الصحيح، فقد أرشدنا وعلمنا وحصّنا ووضح لنا كل ما من شأنه -لو اتبعناه-أن يساعدنا لعبور الدنيا بسلام قال ﷺ " قدْ تركتُكمْ على البيضاءِ ليلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ، ومنْ يعشْ منكمْ فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكمْ بما عرَفْتمْ منْ سنتِي، وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عضُّوا عليها بالنواجذِ"١٠٦

ومن منهج الإسلام مع المشكلات أنه يتعامل مع الخطر قبل وقوعه، حتى يسهل تداركه والتعامل معه إن وقع.

ومشكلة كمشكلة الإلحاد هذه لابد فيها من تكاتف الجميع- إن أردنا السلامة- فكلنا مستأمنون ومسؤولون على الدين وحفظه كل حسب طاقته وحسب ما يتقن، فالمرحلة القادمة لا يُجْدي معها خِفاف الدين.

فلا بد من تضافر الجهود وتكاملها والتخطيط السليم بدءا من الفرد والمدرسة والمسجد والجامعة والإعلام وكافة المؤسسات التربوية المعنية، من خلال عدة مستويات- المستوى التمهيدي، ثم مستوى المراقبة والتحسين، ثم المستوى الإصلاحي.

المستوى التمهيدي

ويقصد بها تلك الأرض الصلبة التي سيقف عليها أولادنا، التحصين القوي، وحجر الأساس الذي لا يسمح لهم بالانزلاق تجاه أي انحراف، يُعنى بتجفيف منابع الانحرافات الفكرية عموما والإلحاد خصوصا، بمعنى آخر القضاء على حواضن تلك الانحرافات، وهذا المستوى يعد استباقيا لوقوع الأخطار وهو بالغ الأهمية، ويقصد به أيضا تطبيق العمل بالتربية الإسلامية السوية - المطلب السابق-على المستوى الفردي وعلى مستوى المؤسسات التعليمية والتربوية بالدولة.

يعد الغلو والتشدد والتطرف والتعصب والتنطع في الدين من أهم الأبواب التي يتسلل منها كل انحراف فكري بما فيه الإلحاد.

يقال: "غَلا الشيء غُلوّاً: زاد وارتفع.....وفلان بالدين: تصلب وشدد حتى جاوز الحد"١٠٧

قال تعالى: {يٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ} النساء١٧١

وقال الجصاص:" الغلو في الدين هو مجاوزة حد الحق فيه"١٠٨
والتطرف: يقال: "وتطرف في إصدار الاحكام: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط"١٠٩
والتعصب: "هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جانب"١١٠
والمتشدد: هو "المتصلب في أموره"١١١
والمتنطع: هو المتشدق بالكلام قال ابن الأثير " المُتَنَطِّعون: هم المُتعَمِّقون المُغالون في الكلام المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقهم. مأخوذ من النِّطَع، وهو الغارُ الأعْلى من الفَم، ثم استُعْمِل في كل تَعَمُّقٍ قولاً وفعلا "١١٢
قال ﷺ "هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ قالَها ثَلاثًا"١١٣، هم المتشددون في أمورهم الدينية والدنيوية، فكل مَن شَدَّد على نَفسِه أو على غيره في أَمر وسعه الله؛ فإنَّه يَدخل في هَذا الحديث.
فالغلو بكافة أشكاله الكلّي-الذي هو من أهم سباب نشوء الفرق والمذاهب وتشرذم الأمة- والجزئي-في العبادات- ١١٤نهى عنه الرسول ﷺ فقال:" لا تُشدِّدوا فيُشدِّدِ اللهُ عليكم"١١٥
وعن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:" أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني."١١٦
فلابد من مكافحة هذا الغلو والتشدد عن طريق وضع سياسة وخطة شرعية متكاملة، مترابطة ومستمرة، لنشر وتوضيح الدين السليم ويتم ذلك بداية في البيت من الوالدين بتربية إيمانية واعية وتطبيق كافة أسس التربية الإسلامية التي سبق الحديث عنها.
وفي المدارس يعزز ما غرس في البيت، فلابد من مناهج تعليمية مطورة جذابة تعين على التدبر والتفكر والتعليل والاستنتاج بعيدة كل البعد عن تكديس المعلومات والحشو الزائد والأسلوب الجاف، يراعى فيها صفة البناء والترابط والتكامل فلا مجال للتكرار وإهدار الوقت، ولا حاجة لهدم شيء سابق وبناء من جديد-وأقصد بتطوير المناهج ذلك التطوير الذي يخدم الدين والعقيدة والعلم لا التغيير والتطوير الذي يُملى علينا-.

تطبق من المدرسة إلى الجامعة تشمل كل أسس التربية الإسلامية تُعَرّف الأجيال بمُحكمات الشريعة وتربط نفوسهم بالثوابت العقدية والقيمية، وتستوعب الواقع وتعالجه، مراعية متطلبات كل فئة عمرية.
كذلك القائم على هذه العملية -المعلم المربي القدوة -لابد أن يكون مؤهلا تأهيلا مميزا وخصوصا من يتعامل مع المراحل العمرية الصغيرة، فلابد من تأهيل الكوادر ذات الكفاءة العالية والمدربة تدريبا قويا لنجاح هذه المهمة، وهناك بعض الدول الأجنبية تشترط حصول المعلم في رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية على درجة الماجستير في تخصصه للعمل كمعلم.١١٧
إعادة تدريس مادة الأخلاق الإسلامية في جميع مراحل التعليم حيث كانت تدرس قديما في مدارسنا كمادة مستقلة ضمن منهج التعليم، بعض الدول الأجنبية كاليابان تحرص كل الحرص على تدريس مادة الأخلاق بداية من رياض الأطفال "تم اعتماد نظام تدريسي في اليابان هو الأكثر نجاحاً في العالم، لديهم مادة أساسية للأطفال وهي مادة " الطريق إلى الأخلاق "، مضمونها تعليم الطلبة الأخلاق بمفهومها الواسع والعمل اليومي على تطبيقها في حياتهم اليومية، ومع تعاملهم واختلاطهم بالآخرين في حياتهم اليومية"١١٨.أليست هذه بضاعتنا؟
ولا يغفل دور المسجد الفعال والمهم، فلابد أن يكون المسجد بالنسبة لأولادنا منذ الصغر عامل جذب لا نفور وإعراض، يذهب الطفل ليلعب ويتعلم، لا ليزجر ويكبت، والهدف باختصار قتل النفاق. فالأطفال في حِلق التحفيظ في المسجد يطلب منهم الانضباط، لكن طبيعته كطفل تلح عليه في اشباع جانب اللعب عنده، فيلعب في الشارع مثلا أو النوادي بالطبع سيجد غالبا بيئة غير منضبطة وألفاظا قد تكون سيئة وسيتأقلم معها، بل ويتفاعل لإشباع حاجته للعب ورغبته، وحينما يعود لحلق التحفيظ سينضبط مرة أخرى ويتأدب بآداب القرآن وهكذا يعيش الطفل التقلب بين هذين الوجهين فلا تستقر نفسيته ويعيش حالة التقلب النفسي مما يؤدي به إلى النفاق.١١٩
للمسجد دور رائد في نشر وتعريف الناس بالدين الصحيح الواضح وتبسيطه لهم ، و نشر علومه والسنة الصحيحة، وتصحيح المفاهيم، وله الدور الكبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان أن الفاسد ليس لنفسه فقط، فلابد أن يتأثر به من جاوره، قال صلى الله عليه وسلم " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"١٢٠ .
أما في عصرنا الحالي هُمش دور المسجد واقتصر فقط على إقامة الصلوات، لابد أن يرجع المسجد الجامع لدوره المتكامل الشامل ليستطيع إحداث التغيير المطلوب.

العلماء المؤهلون لهم اليد العليا في تحجيم الغلو والتشدد وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى انحراف
فهم أساس النصح والتعليم، وحتى يكون عملهم معتبرا لابد أن يكونوا فيما بينهم على وفاق، تتلاقى أفكارهم وهمومهم وعملهم على فكرة إصلاح المجتمع وأفراده، وهذا الدور فيما بينهم ليخرجوا لنا برابطة علماء قوية لها كلمتها المسموعة، عند الحكومات والأفراد، غير موجهه ولا تعتمد ماديا على الدولة.
ثم يأتي دورهم الإنشائي من تعليم الدين وتعميقه وتنقيته مما يُلصق به نكاية، ونقل العلم للناس وللأجيال القادمة، ونصح الحكام والناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد فيما يستجد من أمور، وإبراز صورة الإسلام الصحيحة داخليا وخارجيا، والتصدي للخطاب العدائي للإسلام والمسلمين وللحملات المسعورة التي غاية مرادها هدم الدين وتفكك المجتمع وإباحة الشهوات.
ثم دورهم الإصلاحي وهو الاستماع الجيد لمن يشكل عليه أمر والحوار البناء معهم، وإرشاد الناس ساعة الفتن وبيان الصالح من الطالح لهم.
الإعلام بأشكاله -المرئي والمسموع والمكتوب- تلك القوة الناعمة التي تتسلل داخل بيوتنا وتغير القناعات وتبدل الأحوال، فهي أكثر الوسائل قدرة وتأثيرا في الأفكار، والمعتقدات، والسلوك، والمواقف.
المفترض في الإعلام أن يقدم حقائق مجردة، وأخبارا صادقة، ، أو مشكلة ما، ويترك للناس اتخاذ القرار وتكوين رأي خاص بهم ولا يتحيز ولا يوجه الرأي العام ولا يحمل الناس على سلوك معين، لكنه خرج عن ذلك وصار صاحب وجهة دعائية موجهة.١٢١
فيجب توجيه الإعلام للقيام بالدور الذي يخدم ويحقق أمن واستقرار المجتمع، لا انحلاله وضياعه وفساده، وهنا يبرز دور ولي الأمر والقائمين على أجهزة الإعلام من خلال وضع خطة لتقديم إعلام هادف بناء نظيف يرتكز على الصدق والأخلاق وسلامة الاعتقاد والرؤية وتصحيح المفاهيم ليكون أداة إنارة واسترشاد للشباب، يوجه أفكارهم نحو الصحيح، وتفعيل الإعلام بكافة أشكاله ليقدم الدين والثقافة والعلم بخطاب دعوي مميز وجديد وجذاب.
ويعد تهيئة سُبل العيش الكريم وتحسين الوضع الاقتصادي والسياسي وتوفير فرص العمل المناسبة ومساعدة الشباب على العمل وامتصاص طاقاتهم فيما هو نافع، من أسس محاربة الغلو والتشدد، فغياب العدل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي يؤدي إلى حالة من القهر والسخط والتذمر وهم من حواضن كل انحرف عامة والإلحاد خاصة.
وضع هدف للشباب والعمل عليه أكبر محفز لهم، فيُشغلوا بما فيه الفائدة، فلا وقت للفراغ الذي هو مدخل كل آفة، وضع الهدف يعلمهم المسؤولية وعلو الهمة وتحديد الرؤية المستقبلية.

"إن العلاج الأساس لهذا كله هو إعادة توجيه التحدي الحضاري، أن يضع هذا الجيل لنفسه هدفا حضاريا إبداعيا يسعى إليه، ويسهم في صناعة الحياة على هدى وبصيرة بالعلم والبحث والتخطيط..... علينا أن نخطط لبناء الجيل الذي يحمل هذه الأمانة وهذا أمر ليس باليسير، ولكنه ليس بالمستحيل." ١٢٢

النوادي ومراكز الشباب لها دور في تفريغ طاقة الشباب بما يفيد، فلا بد من تفعيلها والإشراف عليها من قبل مختصين مؤهلين للتعامل مع الشباب جسمانيا وفكريا، وتربط بالمدارس والمساجد.

تجنب مواقع الشبهات وهو أمر عام واجب على كل مسلم.

مستوى المراقبة والتحسين

بعد التمهيد والإنشاء والتحصين، لابد من المراقبة والمتابعة فأي خطة يراد لها النجاح لابد لها من متابعة لسيرها، وتقييم لأدائها، حتى يتبين مواطن الخلل فتدعم، ومواطن النقص فتجبر وتؤتي الثمرة المرجوة ويقصد بالمراقبة "متابعة تنفيذ العمليات الإدارية والمنفذين لها، وتقويم عملهم أولاً بأول؛ للوصول إلى الهدف المرسوم على أفضلِ وجه، وأقصر وقت، وأكبر دِقَّة، وأقل خطأ وتكلفة".١٢٣

وهو منهج نبوي كان يطبقه الرسول ﷺ مع ولاته من الصحابة الكرام، وفي الأسواق وطبقه الصحابة من بعده.

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعامٍ، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني" ١٢٤

و جاء في الصحيحين أن أبا حميد الساعدي قال: "استعمل النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - رجلاً من الأزد، يقال له ابن اللُّتْبِيَّةِ على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أُهْدِيَ إليَّ، فقال ﷺ: "ما بالُ الرجلِ نستعمله على العمل بما ولاَّنا الله، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إليَّ، أفلا قعد في بَيْتِ أبيه وأمه، فنظر أيُهْدَى إليه أم لا، والذي نفسي بيده، لا يأخذ منه شيئًا إلاَّ جاء به يومَ القيامة يَحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعِر، ثم رفع يديه، وقال: "اللهم هل بلغت ثلاثًا" ١٢٥

المبحث الثالث: المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد، والرد على شبهات الملحد (الإغاثة الفكرية)

كما تقدم في هذا البحث، فإن الدوافع والبواعث والمسببات خلف مشكلة الإلحاد تؤكد استمرارية هذا التحدي على المدى الطويل، سواء لارتباطه بالشهوات التي تستميل خفاف العقيدة، أو لكونه دين-فاسد- له أسسه وقواعده ويتطلع مريدوه إلى الانتشار المستمر، وبالتالي فإننا نحتاج إلى نهج راسخ ومستمر في التعامل طويل الأمد مع هذه المشكلة في صورها المختلفة وبمحاورها المتعددة.

ويعتمد المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد على ما سبق توضيحه من المسارات التي حددناها لمعالجة ظاهرة الإلحاد، والتي تتمثل في الأدوار المتكاملة التي تقوم بها المؤسسات العامة أو الخاصة التي تشمل المؤسسات الإعلامية، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات الدعوية، وما إلى ذلك. هذا بالإضافة إلى الأدوار التي لا تقل أهمية عن ذلك والمتعلقة بالجهود الفردية لعموم المسلمين على المستوى الشخصي أو في نطاق الأسرة أو على المستوى العائلي الأكبر أو على المستوى الاجتماعي الأوسع نطاقاً.

ويقوم المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد على أساس القياس الدوري والمستمر لمدى فاعلية خطط وأدوار هذه المؤسسات والكيانات في تحقيق نتائج ملموسة لدحض أسس وشبهات الالحاد، وكذلك معالجة آثاره وما يترتب عليه من تأثير سلبي في نفوس بعض خفاف العقيدة أو من يلتبس عليه بعض الأمور، وتبدأ عملية قياس الفاعلية المستهدفة من خلال حصر واستقصاء وقياس ومقارنة مدى تأثير جهود هذه الكيانات في قناعات وإدراك الشرائح المختلفة للمجتمع المسلم، ومدى إدراكهم لأصول عقيدتهم، ومدى استيعابهم لشبهات الالحاد، ومدى قدرتهم على التعامل على ما يتعرضون له من حملات ممنهجة أو مواقف عارضه.

وينطوي هذا المنهج على اختبار دوري ومتكرر للخطط والأدوار التي تقوم بها المؤسسات المعنية، وتقييم النتائج والأثر الناشئ من هذه الخطط، ومن ثم تحليل النتائج واكتشاف الثغرات التي يجب معالجتها، وفهم السبب الجذري للمشاكل والظواهر، ووضع فرضيات حول مكامن الخلل، ومن ثم وضع خطط جديدة، وتحسين الخطط القائمة من أجل الوصول إلى نتائج أكثر فاعلية ونجاعة في تحصين وصيانة الفكر العقائدي على مستوى الفرد والمجتمع.

بيد أن منهج الرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد يعتمد ابتداءً على المرحلة الأهم التي تسبقه والتي تتعلق بمرحلة التخطيط السليم والممنهج للمؤسسات المعنية من أجل مكافحة ودحض أسس وشبهات الالحاد، وكذلك

معالجة آثاره وما يترتب عليه من تأثيرات ناشئة. ومرحلة التخطيط يجب أن تشتمل على خطوات محددة تتعلق بتحديد وتحليل المشكلة، ثم وضع تصورات حول الحلول المناسبة واختبار مدى القدرة على تطبيقها.

وفي خطوة تحديد المشكلة، لابد أن تتوفر لدينا المعلومات اللازمة لفهم المشكلة بشكل كامل وسببها الجذري، ولابد أن تكون هناك معايير واضحة وإجابات متكاملة حول ماهية المشكلة التي نحاول معالجتها، وهل فعلا هذه المشكلة في صدر الأولويات؟، وما هي البيانات التي لدينا بالفعل حول هذه المشكلة؟، وما هي البيانات التي نحتاج لجمعها؟ وما هي الجهات التي يجب تضمينها لفهم المشكلة بشكل أفضل؟، وهل هي فعلا مشكلة مؤثرة؟، وما هي حدود تأثيرها؟، وعلى من تؤثر بدقة؟

ثم تأتي الخطوة التالية والتي تتعلق بوضع تصورات وحلول مناسبة واختبار مدى القدرة على تطبيقها. وفي هذه الخطوة لا بد من استعراض ومناقشة جميع مقترحات الحلول المتاحة لحل هذه المشكلة، وما هي الموارد والجهات المطلوب إشراكها لحل هذه المشكلة أو مواجهة هذه الظاهرة؟، ومن ثم تقييم أفضلها من حيث إمكانية التطبيق. وتحديد من سيشارك في العملية ومن سيكون مسؤولاً عنها؟ وما هي النتيجة المتوقعة للتطبيق وكيف يمكننا قياس الأداء؟ وما هي الموارد اللازمة للتطبيق؟ وكيف يمكن تنفيذ التطبيق على نطاق صغير بهدف التجربة؟ وكيف ستترجم نتائج تجربة التطبيق على نطاق صغير إلى تنفيذ كامل بشكل واسع؟

ومن الناحية المثالية، ينبغي تجريب الحلول المقترحة على نطاق صغير أولًا حتى نستطيع تقييم جدوى الحلول المقترحة، وبالتالي يمكننا إجراء التعديلات اللازمة من أجل ضمان الحصول على نتائج أفضل. ويسمح لنا أيضا تجريب الحلول بالتأكد من قدرتنا على تقييم الأداء وجمع البيانات اللازمة لإجراء التقييم اللازم في المراحل المتقدمة من التطبيق على نطاق واسع. وخلال مرحلة التجريب يجب قياس مدى تحقيق الحلول المقترحة للنتائج المرجوة، وما الذي تحقق والذي لم يتحقق؟، وما هي الدروس المستفادة من التنفيذ التجريبي؟، وهل توجد بيانات كافية لإثبات فعالية التأثير أو التغيير؟، وهل نحتاج إلى إجراء تجارب أخرى؟، وكيف ترقى التجربة على نطاق صغير إلى التطبيق على نطاق واسع؟ ما هي الموارد اللازمة لتنفيذ الحل على نطاق واسع؟ وما هي النتائج والأثر من تطبيق الحلول، أو التغييرات التربوية، أو الإعلامية، أو الدعوية؟ وما هي مجالات التحسين الممكنة؟ وكيف يمكننا استخدام ما تحقق من نتائج إيجابية في ابتكار حلول وتغييرات أخرى؟ وهل الحلول المقترحة ما زالت ذات جدوى للاستمرار فيها؟ أم نحتاج إلى تعديلات جديدة؟ وكيف يمكن الحفاظ على التغيير واستدامته من أجل ضمان استمرار حصد نتائج إيجابية؟

ويقدم هذا المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد نموذجًا متكاملاً طويل الأمد يهدف إلى تحقيق كفاءة عالية في فهم الواقع ومتغيراته، وتحكم أفضل في تسيير خطط العلاج بناء على تشخيص دقيق يتم تحديثه باستمرار. كما يقوم هذا المنهج على استمرار رصد وتحليل الأثر من الخطط والجهود المرصودة لمكافحة وعلاج المشكلة، ومن ثم يقدم هذا المنهج أسلوبًا مرنًا للتعامل مع المستجدات والمتغيرات الناشئة، وبالتالي يوفر هذا المفهوم فهمًا أفضل للواقع المتجدد، وتحسينًا مستمرًا واتساقًا أفضل في خطط المعالجة للتحديات المستجدة.

المستوى الإصلاحي

إن تضافر الجهود بين الأفراد والدولة ومؤسساتها هو أحد اللبنات الأساسية ـ بعد توفيق الله عز وجل ـ لاجتثاث الإلحاد، وهذا المستوى يأتي دوره بعد مراقبة الأداء في المؤسسات التعليمية والتربوية، واكتشاف الخلل الذي وجد ولماذا وجد، وصدق ﷺ حين قال: " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا " "١٢٦

فإذا وقع الإلحاد وظهرت شرته وأسفر المنهج الرقابي عن أماكن الخلل والتقصير كان المستوى الإصلاحي فهو ثمرة نتاج سابقه، بناء على المعطيات التي وفرها نظام المراقبة والتقييم، وهو في غاية الأهمية فهو يتعامل وجها لوجه مع صاحب المشكلة فإما أن يظفر به ويعيده، أو يؤكد الانحراف في عقل صاحب المشكلة، بل ويفاقمها.

سبق وأن بينت أصناف الملاحدة، لكن هناك صنف منهم بالفعل لديه شبهه في عقله، سؤال فقط يريد التوضيح والحوار ليصل لإجابة شافية فزجر ونُهر لأنه يسأل عندما كان طفلا فشب مع أسئلة متراكمة لم تجد من يفندها ويوضحها، هذا نوع وصف نفسه بالملحد الصادق كما ورد في حواره مع د/محمد العوضي.١٢٧

إن الحوار المتأني والمتدرج والهادف مع صاحب المشكلة أول درجات الخلاص من المشكلة، فيُسمع له مرارا وتكرارا، ولا بد لمن يحاوره أن يكون راسخا في العلم وهم الذين "تمكنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تروج عليهم الشبه"١٢٨

وله دراية بأساليب التربية، وفقه الواقع، ويتحلى بالصبر ورحابة الصدر، ويكون هدفه أن يعود صاحب المشكلة لرشده حتى يمنع عن غيره ما لحق به،

وحتى يفوت الفرصة على المتربصين بنا من إحداث فوضى وبلبلة في المجتمع، وأن يصادقه، ولا يسرع في اتهامه بالكفر، ونعته بأوصاف الردة والخروج عن الدين، ويصحح له المفاهيم المغلوطة، يطبق ما وصل إليه المنهج الرقابي من معطيات، ولا يكون عونا للشيطان على صاحب المشكلة.

إن الرمي بالكفر وإسباغها على من ضل الطريق قد يكون من المعينات لصاحب الشبهة أن يمعن في الضلال والإضلال، فالأصل في ذوات الناس الإيمان ومن يرد إخراج أحدهم من ربقة الإيمان إلى الكفر فليأت بالدليل الدامغ، فالتريث مهم، والأهم أن تطلقها عليه الجهات المختصة بذلك إن تعسر إصلاحه وإعادته وأصبح يمثل خطرا داهما على من حوله وبدأ فساده في التعدي إلى غيره.

"إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر"١٢٩

كما يجدر عرض نماذج من هؤلاء الذين ضلوا ثم عادوا للطريق الصحيح، فله بالغ الأثر في مساعدة صاحب الشبهة في تخطي المشكلة، وإحالتهم إلى كتب هؤلاء التي وثقوا فيها أسباب انحرافهم وأسباب رجوعهم وتوبتهم. ١٣٠

الإغاثة الفكرية مقصد شرعي

حرص الإسلام على استقرار المجتمع ودعم كل ما من شأنه أن يحقق ذلك، واهتم بالعقل والفكر خاصة، فأمر بتنميته وتثقيفه وتوسيع مداركه، وشدد في كل ما يحجبه ويؤذيه ويشوشه، فحافظ عليه إيجادا وعدما.

ويعد الإلحاد من الشبه والانحرافات الخطيرة التي تدخل على الفكر فتفسده، فتضيع على الإنسان عقله ودينه، فصلاح العقل والفكر فيه صلاح صاحبه والمجتمع، فهو مناط التكليف والمسؤولية، وضياعه يعني ضياع صاحبه وفساد المجتمع وتخلفه، والعمل على إعانة الفكر وإصلاحه وتصحيح مساره إذا طرأ عليه ما يشوشه ويفسده من مقاصد الشريعة الإسلامية، إذ أن الفكر السليم هو أساس كل خير.

يقال: أغاثه: أعانه ونصره، والإغاثة هي الإعانة والنصرة عند الشدة١٣١

والفكري: "نسبة إلى الفكر الذي يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات، وهو صنعة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا وأحداث١٣٢

والإغاثة الفكرية: هي تقديم الإعانة والدعم المعرفي والعقائدي والفكري لتفنيد الشبه التي تعرض لعقل الإنسان وفكره وتتسبب في الشك وتشويش العقل، ومنع كل ما يشغل العقل والفكر عن مهامه، وتعمل على إعادة العقل

والفكر لمساره السليم، وهو من أهداف الشريعة والتي يصلح بها حال الناس وتستقر حياتهم.١٣٣

نحن نسمع دائما عن الإغاثة الإنسانية والتي تقوم عليها المؤسسات الخيرية، فتقدم الإعانة الغذائية والملبس والمأوى للمتضررين والمحتاجين، وفي ظل الظروف الحالية والتشويه الممنهج والمتعمد للدين ،فلم يعد التعرض للدين شطحات فردية يقوم بها القلة بين الفينة والأخرى تتعرض للذات الإلهية، وتطعن في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتدعو للشهوات، وتلعب على وتر المرأة وضعفها وحقوقها المسلوبة (حركات النسوية)، والإنسان وحقوقه الضائعة تحت الحكم الجائر(الأنسوية)، بل هناك استراتيجيات مخطط لها تقوم بعملها على المدى الطويل، لا ترجو نتائج آنية بل تعتمد سياسة النفس الطويل فهي تتغلغل في المناهج الدراسية وتسعى لتغييرها وتطويرها وتنقيتها من الإرهاب والتطرف المرتقب ،تسعى لتغيير الهوية والمبادئ في ثوب التجديد والحداثة والتحضر توهم السامع بالمصلحة لكنها عين المفسدة، لذلك نحن في أشد الحاجة للإغاثة الفكرية الواعية إغاثة للعقيدة وما تتعرض له من تشويه ومن ثم طمس، إغاثة تحمي الفكر والعقل تحمى الهوية الإسلامية من الاستلاب الممنهج ،ترد الشبهات، تدافع عن الإسلام وأصوله، تصدر العلماء الأكفاء للواجهة، وتفوت الفرصة على أشباه العلماء، تحصن وتراقب وتصلح، تعنى بالمناهج والطالب والمعلم، تلهمهم القدوة وتبني الأهداف، تؤصل لما يحدث على الساحة من سنن كونية وإفهامه للعامة، تقف في وجه الخطاب العدائي للإسلام، تحاصر الفكر المنحرف، تزيل التشكيك و توضح الحقائق وتنتقل بالجيل من القناعة الشعورية أو الشكلية إلى القناعة البرهانية.

نحن بحاجة ماسة إلى تضافر جهود الأفراد وكافة المؤسسات المعنية ـ التعليمية والدينية والإعلامية وغيرها ـ والدولة لإدراك جيل بأكمله، وقبل أن يتسع الخرق على الراقع. وعلى غرار مراكز الجودة في كافة مؤسسات الدولة حاليا، لابد من استحداث مراكز للجودة الفكرية في كافة المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها، يعزز المستوى التمهيدي أو الإنشائي، أو التحصيني، ويعنى بالمراقبة والتقييم والإصلاح ويرصد كافة التغيرات ويتعرف على العلل الموجودة ويجد لها الحلول المناسبة ويطبق منهج المراقبة المذكور آنفا.

وعلى الله قصد السبيل.

خاتمة

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، قال تباركت أسماؤه: {إِنَّنِيۤ أَنَا ٱللَّهُ لاۤ إِلَـٰهَ إِلاۤ أَنَاْ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيۤ} طه١٤ سبحانه لا أشرك به شيئا، عز جاهه وتباركت أسماؤه ولا إله غيره، سبحانه جل في علاه، جرت سننه الكونية على جميع مخلوقاته، وقضت كلمته على خلقه آياته الكونية تدل عليه وبديع صنعه يدل عليه، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى.

سبحانه هو الغني عن الجميع، قال عز جاهه: {يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ} فاطر ١٥ لا يزيد في ملكه من آمن ولا ينقصه من كفر أو أشرك أو ألحد.

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وما أنا من الملحدين.

وأرجو من الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني ويغفر لي الزلل والتقصير.

النتائج والتوصيات:

-التربية الإسلامية السوية بأسسها المختلفة هي حجر الزاوية في تحصين شبابنا من خطر الإلحاد

-يعد الإلحاد مشكلة فكرية، لا نستطيع إطلاق وصف الظاهرة عليها، حيث لا بيانات ولا إحصاءات دقيقة، لكن لا ننكر أننا أمام موجة عاتية من الإلحاد.

-المواقع الإلحادية المنتشرة بكثرة على وسائل التواصل الاجتماعي لا نستطيع الجزم بمن يقف خلفها.

-فكرة إنكار الله عز وجل لم تكن موجودة في تراثنا العربي والإسلامي، وغالبا ما تكون تهمة سياسية أو شخصية أو حزبية، تلقى جزافا لتكون مسوغا لما قد يفعل بصاحبها.

-بالرغم من أن الملحدين يحاربون الدين، إلا إنهم يُنظّرون لدين لهم.

-الدوافع والبواعث الخارجية والداخلية والطائفية والتشرذم هي من مهّد الطريق للإلحاد في عالمنا الإسلامي

-الإلحاد أنوع من حيث القوة والضعف، وليس المقصود قوة الأدلة لكن قوة الجزم بعدم وجود إله.

-الطعن في الإسلام غدا ممنهجًا ذو استراتيجية طويلة المدى.

-الإلحاد جريمة في حق البشرية، وينافي الفطرة السليمة.

-يبدأ الإلحاد بانحراف بالدين، ثم انحراف عن الدين، ثم انصراف عنه.

-الحاجة إلى الدين ضرورة ملحة داخل كل فرد سوي.
-عقوبة الله عز وجل للمنحرفين لا تطال المنحرف وحده، بل تشمل جميع الأفراد إن لم يأخذوا على يده.
-لا يجب أبدا التوسع في رمي الناس بالكفر، والجهات المختصة هي المخولة بذلك.
-الوقاية من الإلحاد قبل وقوعه مسؤولية مشتركة، وبعد وقوعه أيضا.
-التحصين، ثم المراقبة والتقييم، ثم الإصلاح من أنجع الطرق في محاربة أي انحراف.
-تفكيك الهوية وهدمها دائما ما يأتي في صيغة التجديد ليستسيغه خفاف الدين.
-إعادة تدريس مادة الأخلاق في كافة المؤسسات التعليمية.
-الإغاثة الفكرية مشروع أمة بها يحفظ العقل والدين.
- تضافر جهود البيت والمدرسة والمسجد وكافة المؤسسات المعنية مطلوب للتصدي للإلحاد.
-القدوة وتحديد هدف وشغل الفراغ من أكبر المعينات على تلافي الانحرافات الفكرية.
-ما من أمة ثبتت في أي صراع إلا كان أهلها مدربين على احتمال المشقات، لا تتحكم فيهم شهواتهم.
-هدف الإلحاد جيل ضعيف لا يعتمد عليه ليس لديه أي مقومات القيادة.
-الإعلام النظيف له الدور المثالي والفعال في درء خطر الإلحاد.
-استحداث وحدات الجودة الفكرية في المدارس والجامعات وكافة المؤسسات
-على غرار وحدات الجودة-لها قاعدة بيانات واستطلاعات واحصائيات من شأنها التعزيز والمراقبة والتحسين ومراقبة السلوك ومتابعة الأفراد ذوي الشبه لتفنيدها.
-الرقابة الشديدة على الإعلام والمؤسسات التربوية ومنع كل ما يروج للإلحاد، من شأنه أن يحاصر المشكلة ويكشف عن أي انحرافات فكرية.
-إنشاء صندوق لدعم الإغاثة الفكرية.
-العمل على تطوير الخطاب الدعوي ليناسب شباب اليوم.
-لا بد من تضافر الجهود والإسراع في تفعيل وتطبيق خطة التحصين والرقابة والتقييم والإصلاح قبل أن يتسع الخرق على الراقع.

الهوامش

١. محيط المحيط بطرس البستاني -مادة (لحد) ص٤٧٧-مكتبة لبنان-بيروت١٩٧٧ ص ٨٠٩،٨١٠
٢. انظر لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور-٣/٣٨٨-٣٨٩- دار صادر-بيروت
٣. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس-تحقيق عبد السلام هارون٥/٢٣٦- ط دار الفكر -بيروت
٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن-لابن جرير الطبري ١٠/٥٩٨-تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي-ط١-دار هجر للطباعة والنشر – القاهرة
٥. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٢/١٦١-تحقيق محمد باسل- دار الكتب العلمية -بيروت
٦. مفهوم الإلحاد في التاريخ الإسلامي دراسة تحليلية- علي إمام عبد العزيز-ص ١٠- الدار الإسلامية للطباعة والنشر-ط١ القاهرة٢٠١٩
٧. الكشاف عن حقوق التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل للزمخشري-ص ٥٨٤- ط٣- دار المعرفة -بيروت
٨. مفردات ألفاظ القرآن الكريم-للراغب الاصفهاني- تحقيق صفوان عدنان داوردي- ص٧٣٧- ط٤ -دار القلم -دمشق ٢٠٠٩
٩. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبد الرحمن محمد الدوسري-ص ٤٠-ط١ -مكتبة دار الأرقم- الكويت١٤٠٢
١٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة- الندوة العالمية للشباب الإسلامي-٢/٨٠٣-ط٤-١٤٢٠
١١. مقالات شرعية- فقه الإلحاد ص ٣٦- مقالات منشورة عن إسلام أون لاين-جمعية البلاغ الثقافية-ط١ ٢٠١٧
١٢. -مذاهب فكرية معاصرة-محمد قطب-ص٦٠٥-دار الشروق -القاهرة-ط١-١٩٩٧
١٣. الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة -زينب عبد العزيز-ص٨-ط١- دار الكتاب العربي -دمشق ٢٠٠٤
١٤. الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفيتش -ص٤٢- دار الشروق- القاهرة
١٥. - محيط المحيط مادة ربا ص ٣٣٢-٣٣١
١٦. النهاية في غريب الأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير- تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي- باب الراء مع الباء ٢/٤٥٠- المكتبة العلمية- بيروت.
١٧. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني- تحقيق مخمد سيد كيلاني كتاب الراء ص ١٨٤- دار المعرفة- بيروت.
١٨. أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها- لأبي الحسن الندوي-ص ١٢،١٣-محاضرة ألقيت بالمجمع الإسلامي العلمي الهند. على شبكة الانترنت مكتبة نور.
١٩. التربية وطرق التدريس-صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد ص١/١١ – دار المعارف مصر
٢٠. انظر التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها –عاطف السيد- ص ١٧ وما بعدها كتاب منشور على الإنترنت- المكتبة الشاملة
٢١. ميدان يحاور العوضي-مقال على الإنترنت موقع الجزيرة نت- بتاريخ٢٠١٩/١١/١٩

٢٢. انظر مقالات شرعية الحرية-والإلحاد-والتراث ص٤٩-مقالات منشورة عن إسلام أون لاين-جمعية البلاغ الثقافية-ط١ ٢٠١٧
٢٣. السابق مقال بعنوان الإلحاد والوطن العربي أرقام وتعليلات-ص ٤٨، وانظر الغلو في الدين وأثره في انتشار الإلحاد في العالم الإسلامي-نور الهدى زيوش ص٨٨-دار الأيام الأردن٢٠٢٢
٢٤. الإلحاد والوطن العربي أرقام وتعليلات ص٤٩
٢٥. مقالات شرعية- الإلحاد من يقف وراءه؟ وكيف يروج له؟ حامد العطار-ص٣٢، وانظر مقال الإلحاد في العالم العربي لماذا تخلى البعض عن الدين؟ أحمد نور-قسم المتابعة الإعلامية -بي بي سي العربية-على الإنترنت
٢٦. مناجزة الإلحاد- أحمد التميمي ومحمود المسلمي ص ٢٤٥ - مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر والإعلان-سلطنة عمان -ط١-٢٠١٨
٢٧. ميليشيا الإلحاد -عبد الله العجيري-ص١٠٣-ط٢-مركز تكوين- السعودية٢٠١٤
٢٨. مناجزة الإلحاد ص٢٤٩
٢٩. انظر آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجا) -لأنور قاسم الخضيري-ص١٧ وما بعدها- مؤتمر الانحرافات الفكرية حرية التعبير ومحكمات الشريعة -رابطة العالم الإسلامي ٢٠١٧، وانظر الإسلام السياسي والمعركة القادمة لمصطفى محمود -ص ٧ وما بعدها- دار أخبار اليوم، وانظر مناجزة الإلحاد ص ١٢٤ وما بعدها
٣٠. انظر اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لعبد الرحمن حبنكة الميداني- ص١٥٥،١٥١،١٢٦- ط٨ دار القلم -دمشق٢٠٠٠
٣١. انظر التفسير الماركسي للإسلام لمحمد عمارة-ص ٣٤-دار الشروق٢٠٠٢
٣٢. انظر كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة لعبد الرحمن حبنكة الميداني-ص ٣٦٩-ط٢- دار القلم- دمشق ١٩٩١
٣٣. الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد-لمفرح القوسي-ص ٣٢١-ط١-دار الملك فيصل -الرياض١٩٩٧
٣٤. انظر طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لعبد الرحمن الكواكبي-ص٤١-ط٣ دار النفائس-بيروت ٢٠٠٦
٣٥. الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية لمحمد الغزالي-ص ٥٢-نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع٢٠٠٥
٣٦. انظر مواجهة الغزو الفكري ضرورة فكرية لأحمد السايح -ص٣٠-ط١-مركز الكتاب – القاهرة
٣٧. انظر الإلحاد أسبابه، طبائعه، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه – ص٨-ط١ -مكتبة ابن تيمية -الكويت١٩٨٦، وانظر كبسولات إسكات الملحدين-هيثم طلعت- ص ١٢ - نسخة على الإنترنت
٣٨. -انظر حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة لجميل المصري-١/٩٣ط١ مطابع الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة-السعودية
٣٩. مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون -تحقيق خليل شحاته-١/١٨٤- ط٢- دار الفكر-بيروت١٩٨٨
٤٠. انظر الإلحاد في العالم العربي لهشام عزمي-ص ٢٤ وما بعدها-مجلة براهين العدد٢ ٢٠١٤
٤١. لأمثلة من الملحدين مروا بذلك ينظر الإلحاد مشكلة نفسية – لعمرو ريف -ص١٣٠ وما بعدها- نيوبوك للنشر والتوزيع-القاهرة ٢٠١٥
٤٢. انظر الابتعاث تاريخه وآثاره لعبد العزيز البواح-ص ٣٧ وما بعدها-ط٢ ٢٠٠١

٤٣. انظر الإلحاد في العالم العربي لهشام عزمي- ص٢٦
٤٤. انظر مناجزة الإلحاد ص ٢٩٦، ميليشيا الإلحاد ص١٩
٤٥. انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم- ص ٦٢-مؤسسة هنداوي القاهرة
٤٦. انظر الموسوعة الماركسية -حرف اللام- www,marxis.org.
٤٧. انظر مناجزة الإلحاد ص ٣٠٢
٤٨. انظر ميليشيا الإلحاد-ص ٢٠، وانظر مقالة الرب أعطانا عقلا لا دينا-مدونة الربوبي العربي- على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٦
٤٩. انظر كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي -٢٨٥/٣- دار الكتب العلمية – بيروت/ مجموع الفتاوى- لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني -تحقيق عبد الرحمن بن محمد قاسم -٢٧٨/٣٠- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ الأم لمحمد بن إدريس الشافعي٦٠/٣- دار الفكر -بيروت/ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني- لعلي الصعيدي العدوى تحقيق يوسف البقاعي ٢-/٢٨١- - دار الفكر -بيروت١٩٩٤
٥٠. انظر إيضاح المبهم من معاني السلم للشيخ أحمد الدمنهوري-ص٦
٥١. محاضرات في علم التوحيد- لعلي حسب الله-ص ٤- نقلا عن كتاب الأدلة والمعتقدات لجوستاف لوبون- ط٥- مطبعة العلوم – مصر
٥٢. نفسه
٥٣. - انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الآلوسي ١١٧/٨- دار الفكر -بيروت
٥٤. انظرالمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام-جواد علي٣١٠/٢، مذاهب فكرية معاصرة-محمد قطب-ص٦٠٥-دار الشروق -القاهرة.
٥٥. إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، وهو اسم مشق من كلمة "زندو " الفارسية، الدالة على كتاب الفرس المقدَّس الذي يقال له بالفارسية: الزندوفستا، يقال: تزندق، أي انتسب للزندو، ثم اشتقوا منه زندقة للاعتقاد، وزنديق للمعتقد، ويطلق على من يُسِرُّ اعتقاد المجوس. ثم صار علماً على من يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، سواء كان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية، أم بالدهرية، أم بغير ذلك، وأطلق الزنديق يرادف المنافق، وخصوا المنافق بمبطن الكفر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. والزنديق بمبطن الكفر بعد ذلك الزمن. انظر بتصرف الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني – تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ٢٤٤/١-دار المعرفة - بيروت- لبنان
٥٦. انظر سير أعلام النبلاء-شمس الدين الذهبي ٥٩/١٤ بتصرف، وانظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان٧٨/١-دار صادر بيروت
٥٧. - في عالم الأدب الشعبي العجيب، فاروق خورشيد – ص ١٦٦- ط١-دار الشروق - القاهرة ١٩٩١
٥٨. آثار ابن المقفع-لعبد الله بن المقفع-ص ٢٩٥-ط١ -دار الكتب العلمية-بيروت
٥٩. ملاحدة من بلدي! بقلم: د. محمد العوضي-مقال منشور على موقع الألوكة-المجلس العلمي بتاريخ ٢٨-٣-٢٠١١
٦٠. انظر الإلحاد والانتحار قوة تعاليم الإسلام- عبد الدايم كحيل- موقع أسرار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
٦١. انظر تأملات في البواعث النفسية للإلحاد – رشود عمرو التميمي- ص ٦٩-مركز الفكر المعاصر-٢٠١٦
٦٢. انظر ركائز الإيمان -محمد قطب-ص ٣٢-ط١- دار الشروق-مصر
٦٣. - نبيك هو أنت لا تعش داخل جبته- وفاء سلطان- ص٩١-كتاب منشور على الإنترنت

٦٤. ـ السابق ص ٩٩
٦٥. انظر ميليشيا الإلحاد ص ٢١ وما بعدها
٦٦. انظر ميليشيا الإلحاد ص ٤٣ وما بعدها
٦٧. انظر وهم الإلحاد ـعمرو شريفـص ١٠٦
٦٨. انظر الحوار المتمدن ـمقال بعنوان مكانة الحجاب بين فضائل العرب- سيد القمني
٦٩. الاقتصاد المعرفي: "نظام للاستهلاك والإنتاج يعتمد على رأس المال الفكري، فهو يعتمد على القدرات الفكرية أكبر من اعتماده على الموارد المادية "موقع موضوع على الإنترنت وهناك مقالات عديدة وكتب مترجمة تتحدث باستفاضة، ورسائل علمية. وانظر الاقتصاد المعرفي ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية- خالد ياسين الشيخ-رسالة ماجيستير ـجامعة دمشق ـسوريا٢٠١٦
٧٠. انظر مقال لماذا التربية الإيمانية؟ ـ عبد العزيز بن ناصر الجليل- مجلة البيان العدد ٣٣٦، وانظر التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحرافات ـ سعيد فالح المغامسي – ص ٢٥- ط١- دار العلوم والحكمة ـ سوريا.
٧١. أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم الحديث: (٥٠٩٠)
٧٢. ـ شعب الإيمان للبيهقي ـ رقم الحديث: (٨١٢٩)
٧٣. أخرجه الترمذي ـتحفة الأحوذي-كتاب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ باب الأذان في أذن المولود
٧٤. انظر هل للتربية الإيمانية عمر محدد؟ برنامج معين التربوي- جاسم المطوع ـسلسلة على اليوتيوب.
٧٥. انظر تفسير الطبري٢٣/٤٩١
٧٦. ـ رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/ ١٣٣
٧٧. الأصل الأخلاقي للتربية الإسلامية وانعكاساته التربوية دراسة تأصيلية ـ عدنان مصطفى خطاطبة – ص ٣٩٥-مجلة العلوم التربوية – العدد الثالث شوال ١٤٣٦- الأردن
٧٨. رواه البخاري كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وما يُنهى عن الكذب (٥/ ٢٢٦١)، حديث رقم (٥٧٤٣)
٧٩. تحفة الاحوذي-كتاب الادب- باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده-٨٥/٨
٨٠. أ خرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، حديث رقم (٤٧٩٨)
٨١. – أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز- حديث رقم (٤٨١٦)
٨٢. أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة – باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم-حديث رقم (٩٩٦)
٨٣. انظر الرياضة والمجتمع- أمين أنور الخولي-ص ٢٠-عالم المعرفة-الكويت- ١٩٩٦
٨٤. تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر عاشور-٥٥/١١-الدار التونسية للنشر- ١٩٨٤
٨٥. أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد والسير- باب التحريض على الرمي – حديث رقم (٢٧٧١)
٨٦. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير-١٩٣/٢
٨٧. أصول الفكر التربوي في الإسلام – عباس محجوب ـص ٣٣-دار ابن كثير-دمشق- بيروت
٨٨. أخرجه الترمذي ـ باب فضل طلب العلم حديث رقم (٢٦٩٤)

٨٩. أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته حديث رقم (١٦٣١).
٩٠. أخرجه أبو داود في سننه – كتاب العلم-حديث رقم (٣٦٤١)
٩١. أخرجه الترمذي في سننه-كتاب صفة القيامة والرقائق والورع-٢١٦/٤
٩٢. انظر المشكلات السلوكية عند الأطفال- نبيه الغبرة-ص ١١- جمعية دار البر-دبي ١٩٩٤
٩٣. أخرجه مسلم- كتاب الفضائل- باب رحمته عليه الصلاة والسلام بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (٤/ ١٨٠٨)، حديث رقم (٢٣١٧).
٩٤. انظر المشكلات السلوكية عند الأطفال- ص١٦٦، وانظر تربية الأولاد في الإسلام- لعبد الله ناصح علوان ٣٠٠/١-دار السلام للطباعة والنشر-مصر
٩٥. انظر عيون الأخبار عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢/ ٢١٥) -دار الكتب العلمية-بيروت
٩٦. أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأشربة -باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما على يمين المبتديء-حديث رقم ٢٠٣٠
٩٧. انظر المشكلات السلوكية عند الأطفال -١٦٢ وما بعدها
٩٨. - انظر التنشئة الاجتماعية للطفل- محمد حسن الشناوي -ص٨٢ -دار الصفاء- الأردن٢٠٠١، وانظر التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية -نعيمة محمد-ص ٧٥- دار الثقافة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع -الإسكندرية٢٠٠٢
٩٩. أخرجه البخاري- كتاب تفسير القرآن-باب وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ- حديث رقم (٤٨٣٠)
١٠٠. أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب الأدب باب الوصاة بالجار-حديث رقم (٦٠١٤)
١٠١. أخرجه الترمذي -كتاب البر-حديث رقم (١٩٢٠)
١٠٢. انظر معالم الثقافة الإسلامية - عبد الكريم عثمان – ص٢٧٩- ط ١٦-مؤسسة الرسالة، وانظر الإنسان بين المادية والإسلام – محمد قطب – ص ١٦٠- ط ١٠- دار الشروق.
١٠٣. انظر إحياء علوم الدين - لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي -٥٧/١-دار المعرفة – بيروت
١٠٤. أخرجه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء حديث رقم (٢٦٢٨)
١٠٥. - انظر منهج التربية الإسلامية – محمد قطب -٩/١ -منبر التوحيد -كتاب منشور على الإنترنت
١٠٦. أخرجه الحاكم في المستدرك-كتاب العلم – عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين- ٢٨٩/١
١٠٧. محيط المحيط- مادة غلو ٦٦٥
١٠٨. أحكام القرآن - أحمد أبو بكر الجصاص - تحقيق محمد صادق- ٢٨٢/٣- دار إحياء التراث العربي -بيروت-لبنان
١٠٩. معجم مقاييس اللغة العربية المعاصرة – أحمد عمر-١٣٩٤/٢- ط١-عالم الكتب- ٢٠٠٨
١١٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم- لمحمد التهانوي- تحقيق على دحروج- ٤٨٥/١- مكتبة لبنان – بيروت
١١١. - محيط المحيط- مادة شدد- ص ٤٥٦
١١٢. النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير-تحقيق طاهر الزاوي- ٧٤/٥-المكتبة العلمية -بيروت

١١٣. أخرجه مسلم في صحيحه-كتاب العلم-باب هلك المتنطعون-حديث رقم(٢٦٧٠)
١١٤. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب - الآثار - العلاج -عبد الرحمن اللويحق -٢٤/١-ط١-مؤسسة الرسالة -بيروت
١١٥. أخرجه أبو داود- كتاب الأدب- حديث رقم (٤٩٠٦)
١١٦. أخرجه البخاري- كتاب النكاح -باب الترغيب في النكاح -حديث رقم (٥١١٨)
١١٧. - انظر أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم- زهير حسن الحروب – ص٢٢٩-ط ١- دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان – الأردن٢٠٢٠
١١٨. اليابان من الدمار إلى الإعمار- فيصل محمد- جريدة الشرق القطرية- بتاريخ١٧ نوفمبر ٢٠٢١.
١١٩. انظر مقال بعنوان التربية النفسية الإسلامية – جريدة الحياة نيوز-بتاريخ ٧/ أكتوبر ٢٠٢٠-منشور على الإنترنت
١٢٠. - أخرجه البخاري - كتاب الشركة-حديث رقم (٢٤٩٣).
١٢١. أنظر الإعلام والاتصال بالجماهير- إبراهيم إمام – ص ١١- ط٣ – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٤
١٢٢. الانحراف ووسائل الإصلاح - محمد أحمد صالح الصالح – مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة- رابطة العالم الإسلامي – مارس ٢٠١٧
١٢٣. الرقابة في الإدارة الإسلامية مقال لعبد العزيز محمد هنيدي- شبكة الألوكة الثقافية على الإنترنت
١٢٤. أخرجه مسلم في صحيحه-كتاب الإيمان- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا-حديث رقم (١٠٢)
١٢٥. أخرجه مسلم-كتاب الإمارة- حديث رقم ٣٥٢١)
١٢٦. أخرجه مسلم في صحيحه-كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن-حديث رقم (١٩٨)
١٢٧. مقال بعنوان (ذكرتَ أنواع الملاحدة ولم تذكرني) موقع الباحث عن الحقيقة – على شبكة الإنترنت
١٢٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٣/ ١٦٤)، وانظر التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا – الشيخ جاد الحق علي جاد الحق – ص ٢٠ وما بعدها - مؤتمر الساعة الأمنية تحت المجهر- القاهرة
١٢٩. - الإسلام بين العلم والمدنية - محمد عبده – ص ٨٣ -مؤسسة كلمات عربية للترجمة والنشر – القاهرة.
١٣٠. - على سبيل المثال كتاب (هناك إله) وهو لأشرس الملحدين البريطانيين المعاصرين أنتوني فلو، هو فيلسوف الأديان البريطاني الشهير ومدرس الفلسفة في جامعات أوكسفورد وأبردين وكيلي وريدنج ويورك، يكتب هذا الكتاب في ٢٠٠٧ وقد جاوز الثمانين ويعلن أن هناك خالق، والكتاب مترجم للعربية ومنشور على الإنترنت. وكتاب (رحلتي من الشك إلى الإيمان) للدكتور مصطفى محمود، وغيرهم الكثير
١٣١. انظر محيط المحيط مادة غوث ص٦٦٩
١٣٢. موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة - الدرر السنية - المجلد ١ - الصفحة ٢ - جامع الكتب الإسلامية على شبكة الإنترنت
١٣٣. انظر نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني-ص ١٤٦ وما بعدها- الدار العالمية للكتاب الإسلامي

الملخص

يعد الإلحاد من الانحرافات الفكرية الخطيرة التي أطلت على المجتمع بشكل فج، وفي هذا البحث تناولت في المبحث الأول: الإلحاد معناه، ودوافعه وبواعثه الخارجية والداخلية، وأنواعه، والإلحاد قديما وحديثا، وسماته، وأصناف الملاحدة.
وفي المبحث الثاني: تناولت التربية الإسلامية مفهومها وأسسها، وأثرها في دفع خطر الإلحاد، والمسؤولية الفردية والمجتمعية لدرء هذا الانحراف الفج وبينت أهمية الإغاثة الفكرية ومستوياتها.
وفي المبحث الثالث: قدمت مقترحا للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد، والرد على شبهاته.
ثم خاتمة بها أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

Atheism is one of the serious intellectual deviations that have invaded society in a crude way. In this research, I dealt with the first topic: the meaning of atheism, its motives, its external motives, its internal motives, the types of atheism, ancient and modern atheism, the characteristics of atheism, and the types of atheism.

In the second topic, the focus was on the main concepts and foundations of Islamic education, its impact on pushing the danger of atheism, and individual and societal responsibility to ward off this crude deviation, and it showed the importance of intellectual relief and its levels.

In the third topic: I presented a proposal for oversight and educational reform for the problem of atheism .

Then the research concluded with the most important results and recommendations.

الفهرس

مقدمة..... ١
أهمية الدراسة..... ٢
إشكالية الدراسة ٢
الدراسات السابقة ٢
منهج الدراسة ٣
خطة البحث ٣
تمهيد: في معنى العنوان ومصطلحاته ٣

المبحث الأول: نظرة عامة على مشكلة الإلحاد وتطورها وطرق الوقاية ٦
بواعث الإلحاد ٧
الدوافع والبواعث الخارجية ٩
المستشرقون ٩
الفكر الغربي المادي ٩
الدوافع والبواعث الداخلية ١٠
أنواع الإلحاد.....١٣
الإلحاد قديما وحديثا.....١٥
الإلحاد في عصرنا الحديث.....١٧
أصناف الملاحدة ١٨
آثار الإلحاد على الفرد والمجتمع.....١٨

المبحث الثاني: درء خطر الإلحاد بالتربية الإسلامية ومسؤولية الفرد والمجتمع.....٢١
أسس التربية الإسلامية.....٢٣
أولا: التربية الإيمانية.....٢٣
ثانيا: التربية الخلقية.....٢٤
ثالثا: التربية البدنية.....٢٥
رابعا: التربية العقلية.....٢٦
خامسا: التربية النفسية.....٢٨
سادسا: التربية الاجتماعية.....٣٠
المسؤولية الفردية والمجتمعية لدرء الإلحاد.....٣٢
المستوى التمهيدي ٣٢
مستوى المراقبة والتحسين.....٣٦

المبحث الثالث: المنهج المقترح للرقابة والإصلاح التربوي لمشكلة الإلحاد، والرد على شبهات الملحد (الإغاثة الفكرية).....٣٧
المستوى الإصلاحي.....٣٩
الإغاثة الفكرية مقصد شرعي.....٤٠

خاتمة.....٤٢
النتائج والتوصيات:.....٤٢
الهوامش.....٤٤
الملخص.....٥٠
Abstract.....٥٠
الفهرس.....٥١